محاضرات مقياس مدخل الى تاريخ الحضارات القديمة

الأستاذ: موهوب وليد

الايميل: walidsetif13@gmail.com

السداسي الأول

المحاضرة الأولى:

مفاهيم عامة حول الحضارات القديمة:

1- حضارات العالم القديم (الإطار الزماني): يدخل في حضارات العالم القديم مختلف الشعوب والكيانات السياسية التي وصلتها الكتابة، إما اختراعا ذاتيا أو انتقلت إليها عبر التأثر الحضاري، وبالتالي تشمل المناطق التي استعملت الخطوط الكتابية القديمة، وينتهي تاريخا اصطلاحيا بسقوط الدولة الرومانية على يد الوندال عام 476م، (غير أن هناك من يضم التاريخ والحضارة البيزنطية خلال القرنين السادس والسابع إلى حضارات العالم القديم).

2 – العالم القديم (جغرافيا): مصطلح تاريخي جغرافي يشمل المناطق الجغرافية التي شهدت قيام وازدهار الحضارات القديمة وتتكون جغرافيا من غربي آسيا وجنوب أوروبا وشمال إفريقيا وهي كالآتي:

أ – الشرق الأدنى القديم: وهي المنطقة الجغرافية ذات التركيز الحضاري الكبير في العصر القديم، تمتد من غرب إيران شرقا إلى غرب نهر النيل في مصر القديمة، وتمتد من جبال أرمينية والأناضول وطوروس في الشمال والشمال الغربي وصولا إلى اليمين السعيد ومنطقة القرن الأفريقي، وتضم الأقاليم الجغرافية الآتية: فارس، بلاد ما بين النهرين، مصر القديمة، سوريا القديمة، فينيقيا، شبه الجزيرة العربية، الحبشة، اليمن، الأناضول، قامت حضارات عديدة منها: بلاد الرافدين، السومرية والأكادية، البابلية والأشورية، (الفرعونية، الفينيقية، الحثية ، اليمينية)، السبئية والأكدية، وحضارة أكسوم بالحبشة...

ب – جنوب أوروبا: وتشكل مختلف الحضارات التي ظهرت وازدهرت خاصة في المناطق الجنوبية الغربية من أوروبا، وتمتد حدودها من سواحل غرب آسيا الصغرى وجزر بحر إيجة شرقا حتى غرب شبه الجزيرة الإيطالية ومن مرتفعات الوسط الأوروبي شمالا حتى الجزر المتوسطية في الجنوب (رودس، كريت، صقلية، كورسيكا...) ن شهدت قيام حضارات متفوقة كالإغريقية والروماني والبيزنطية.

ج- شمال إفريقيا: يقصد بها المناطق الواقعة من إقليم المدن الثلاث (طرابلس في ليبيا حتى المحيط الأطلسي، ضمت قرطاجة وبلاد المغرب).

3- مفهوم الحضارة:

أ- **لغة:** جاء في معاجم اللغة العربية أن الحضارة بالفتح تعني الإقامة في الحضر، وهي مشتقة من الفعل حضر، وحضر لغة ضد غاب، وكانت الحضارة لغة تعني الإقامة في الحضر (المدينة) خلافا للبادية.

ب – اصطلاحا: للحضارة عدة تعريفات منها، الحضارة هي طريقة ونظام اجتماعيين يجمعان شعبا معينا في إطار صالح للعيش والتكاثر والتفاعل البيئة وزيادة الإنتاج وحماية المجتمع وتحسينه، والحضارة هو المعاكسة للبربرية، وتعني حالة شعب بلغ من التطور ما يسمح له باعتماد أنظمة متطورة للحياة وللمجتمع، كما أنها تعكس طرق الحياة والإنجازات المادية والفكرية والروحية للمجتمع وهنا يمكننا القول أن لكل شعب حضارته الخاصة به، ولكل من هذه الحضارات صفات وإنجازات تختلف عن غيرها، إلا أنها تصب عامة في خانة التطور الحضاري الذي شهده العالم ومازال يشهده والذي أمس اليوم ملكا لجميع الشعوب بغض النظر عن درجة تطورها أو مفاهيمها.

ج- **عوامل الحضارة:** لإكتمال تحقيق الحضارة الإنسانية يفرض توفر عوامل أربعة هي عوامل الحضارة وهي:

- الموارد الاقتصادية.
- النظم السياسية.
- الأخلاق والعادات والتقاليد.
-متابعة العلوم والفنون.

4- تحديدات العصور التاريخية:

اعتمد المؤرخون تصنيفا للحقبات التاريخية في الزمن يستند إلى تواريخ جرى فيها تغيير جذري للحضارة مع تبدل في المفاهيم العامة للمجتمعات وفي طرق العيش والتفكير وفي اعتماد الحضارة على نوع معين من الحياة كالصيد أو الزراعة أو التجارة أو الصناعة وأخيرا التكنولوجيا، وضمن هذا المفهوم مرت البشرية بحقبات تاريخية أربعة وهي:

1- الحقبة الأولى: العصور القديمة l'antiquité

وتمتد من بداية التاريخ الذي ظهرت فيه أقدم الحضارات المعروفة حتى سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة 476 م، وقد برزت خلال هذه الحقبة الحضارات الزراعية فالتجارية وصولا إلى الحضارة العالمية من السومريين إلى الأكاديين والبابليين والآشوريين إلى الفراعنة وإلى الكنعانيين والعبرانيين وإلى الإغريق والرومان.

2- الحقبة الثانية: القرون الوسطى le moyen age

وهي الحقبة الممتدة بين العصور القديمة والحديثة وقد حددت ما بين سقوط الإمبراطورية الرومانية الغربية سنة 476م وفتح القسطنطنية سنة 1453م.

3 الحقبة الثالثة: العصور الحديثة les temps modernes

تمتد من سقوط القسطنطنية سنة 1453 م وحتى الثورة الفرنسية 1789م (بالنسبة لأوروبا) أو حتى نهاية القرن الثامن عشر (بالنسبة لآسيا وإفريقيا)وتميزت هذه الحقيقة بالنهضة la renaissance والانفتاح على العالم والتحضر والإصلاح الديني في أوروبا.

4- الحقبة الرابعة: période contemporaine

وتمتد من الثورة الفرنسية سنة 1789م حتى يومنا الحاضر، وتميزت بسيطرة الآلة والاختراعات الحديثة كالسيارات والطائرات وصولا إلى غزو الفضاء والحروب العالمية وعصر الذرة وصولا إلى عصر العولمة الذي نعيش في ربوعه اليوم والذي حول العالم إلى قرية عالمية ضخمة.

السداسي الأول

المحور الاول: حضارة بلاد الرافدين.

المحاضرة رقم 02: بلاد الرافدين: الارض والسكان

1- الموقع وأصل التسمية:

يشغل العراق القديم المنطقة الممتدة من هضبة أرمينيا في الشمال – حيث ينبع نهرا الدجلة والفرات– حتى الخليج العربي في الجنوب، ومن الفرات غربا حتى ما وراء الدجلة شرقا، أي من البواد السورية غربا إل جبال إيران شرقا

وتحدث **سترابون** في كتابه "جغرافية سترابون " عن منطقة بلاد الرافدين في الفقرة واحد بقوله: " أن البلاد التي تحادي بلاد فارس هي بلاد آشور، ويفهم من هذا الاسم بلاد بابل وجزء كبير من المنطقة المجاورة، التي تضم بدورها كل من إقليم آشور ومركزه نينوى، جبال زكروس... وأخيرا الضفة الأخرى لنهر الفرات.

ولهذا فإن العراق يقع في الجزء الجنوبي الغربي من جنوب آسيا ويربط القارات التاريخية الثلاث آسيا وإفريقيا وأوربا (بصورة غير مباشرة)، ولهذا فان للموقع أهمية إستراتيجية وتجارية، حيث كان ملتقى طرق القوافل التجارية للاتصال بين البحر المتوسط والمحيط الهندي والشرق الأقصى والهند بالطرق البرية، ثم عن طريق الخليج العربي والقارة الهندية

عرفت المنطقة بتسميات عدة، ولا يزال الجدل قائما بين الباحثين المتخصصين حول أصل تسميتها، وقد أطلق عليها المؤرخ اليوناني بوليبيوس تسمية "ميزوبوتاميا "Mésopotamia التي تفيد معنى "أرض ما بين النهرين"، وكان المقصود بهذه التسمية المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات، وتمتد حتى حافة المناطق المرتفعة في الشمال، حيث يدخل النهران الهضبة إلى منطقة بغداد الحالية حيث يقترب نهرا الدجلة والفرات من بعضهما وتضيق المسافة بينهما إلى أقل اتساع.

وذهب بعض الكتاب الإغريق إلى قصور لفظ ميزوبوتاميا، وأضافوا إليه لفظ بارابوتاميا " parapotamia" أي خارج النهرين أو ما حولها.

لقد أصبحت تسمية ميزوبوتاميا متداولة ومعروفة أكثر بعد ترجمة التوراة، حيث ورد في سفر التكوين(وأخذ العبد عشرة جمال من جمال مولاه ومضى وفي يده كل خير مولاه، وقام ومضى إلى آرام النهرين إلى مدين ناحور) ، وكلمة "آرام نهارين " والتي وردت في العهد القديم فهي

تعني " آرام النهرين"، أي بلاد ما بين النهرين، هذه التسمية تمت ترجمتها إلى اليونانية على هيئة " ميزوبوتاميا " ومن هذه المنطقة جاءت تسمية ميزوبوتاميا، وقد أصبحت الكلمة مألوفة لدى قارئ التوراة وهذا لأنها تعني البلد الذي جاء منه إبراهيم – عليه السلام.

وبالنسبة لكلمة العراق الحالية فأصلها غير مؤكد وإن كان يرجح أنها كلمة فارسية تعني " السواد" أو "السهل" أو "البلاد السفلى"، وقد أطلق العرب على القسم الجنوبي من العراق اسم السواد أو العراق، أما القسم الشمالي فأطلق عليه اسم "الجزيرة"، وهي كلمة تطابق في معناها الكلمة اليونانية ميزوبوتاميا.

وكلمة السواد تعني كثرة المزروعات والأراضي السوداء المستغلة في الزراعة، ولقد أسهم نهرا الدجلة والفرات في طبيعة تكوين هذه المنطقة وزوداها بالمياه اللازمة للزراعة.

وفي القرن الثاني عشر قبل الميلاد وردت التسمية على هيئة "أريقا " للدلالة على إقليم في وسط العراق، ثم حرفت إلى "إيراك" وعربت

اتسع مدلولها ليشمل قسمين الأوسط والشمالي بعدما كان يشمل القسم الجنوبي فقط.

ولقد أطلق السكان المحليون تسميات عديدة حسب الفترات التاريخية، فأطلقوا على جنوب العراق تسمية مات شومري التي تعني بلاد سومر في اللغة الأكادية أما بلاد بابل فكان يطلق عليها في اللغة الأكدية التسمية مات بابل التي تعني بلاد بابل، والأمر كذلك بالنسبة بلاد أشور التي أطلق عليها تسمية مات آشور.

2- السطح:

- الأقاليم التضارسية:

يمكننا أن نميز ثلاث أقاليم سطحية في العراق هي:

- **المنطقة الجبلية:** تشغل حوالي خمس مساحة العراق، وهي تصنع قوسًا يمتد في الشمال من الغرب إلى الشرق، ويمتد إلى ما وراء الحدود المشتركة مع سوريا في الشمال الغربي وتركيا في الشمال وإيران في الشرق وتشبه في شكلها العام الهلال ويتراوح ارتفاعها بين 1000-3600 مترا وصخورها نارية ورسوبية شديدة المقاومة، وهي معرضة لعملية تعرية مستمرة بالنظر لشدة انحدارها وكثرة أمطارها.

وقد احتلت هذه الجبال أهمية كبيرة في العراق كونها المصدر الرئيسي الذي تنبع منه جميع روافد نهر الدجلة وهي الخابور والزاب الكبير والزاب الصغير والعظيم وديالي، حيث تمد هذه

الروافد نهر الدجلة حوالي 70 من مياهه، وتجري هذه الروافد نحو الجنوب الغربي عابرة السلاسل الجبلية بصورة عمودية.

- **الهضبة الصحراوية:**

تقع هذه الهضبة غربي العراق وتحتل أكثر من نصف مساحته الكلية (60%)، ويتراوح ارتفاعها في حدود 100-1000 مترا عن مستوى سطح البحر، وهي جزء متمم من بادية الشام، وتمتد إلى قلب الجزيرة العربية.

بينما أراضيها فهي متموجة تقطعها مجموعة من الوديان الطولية، وتظهر فيها بعض التلال الصغيرة والكثبان الرملية، أما سطحها فينحدر من الغرب إلى الشرق وتنتهي بالسهل الرسوبي.

وتنقسم الهضبة الصحراوية إلى قسمين متميزين هما:

- **هضبة الجزيرة:** تمتد ما بين جبال مكحول و سنجار شمالا والسهل الرسوبي جنوبا ومجرى نهر الفرات والحدود السورية غربا وجبال حمرين شرقا.

وتعتبر هذه الهضبة (الجزيرة) مصدر مائي هام في العراق منذ القدم نظرا لوفرة الموارد المائية بسبب مياه الدجلة إضافة إلى سقوط الأمطار كل هذه الظروف أدت إلى ازدهار هذه المنطقة منذ العصور الحجرية القديمة إضافة إلى اعتبارها من أهم مناطق الاتصال التي تربط العراق بسوريا وموانئي البحر المتوسط، وبلاد الأناضول.

- **هضبة البادية الغربية:** تجاور هذه الهضبة مجرى نهر الفرات من الشرق وتشترك مع بادية الشام، وتمتد إلى داخل شبه الجزيرة العربية، كما يتخللها عدد من الأودية التي تجري فيها مياه الأمطار ،وتنتهي هذه المنطقة بمنخفضات واسعة كمنخفض الحبانية وهور أبي ديس.

- **السهل الرسوبي:** يعتبر الرسوبي ثالث مظاهر السطح في العراق ويشغل حوالي خمس مساحة العراق ويمتد على شكل مستطيل من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين مدينة تكريت على نهر دجلة ومدينة الرمادي (مدينة هيت) على الفرات من جهة الغرب، والبادية الجنوبية، والخليج العربي من جهة الجنوب.

ويبلغ طوله حوالي 650 كلم بينما يتراوح عرضه بين 45 و 140 كلم، ويخترقه نهرا الدجلة والفرات اللذين يسيران في أرض منخفضة لا يتجاوز ارتفاعها 32 مترا عن سطح البحر، وقد ساعد ارتفاع وادي الفرات في القسم الشمالي من السهل في شق الجداول بشكل عكسي.

حيث تأسست على ضفافهما القرى الزراعية الأولى ومهدت لظهور الحياة الزراعية في مراحلها المبكرة خاصة وأنهما شكلا بذلك مصدر الخصب الأساسي للمنطقة.

2- السكـان:

إن الحديث عن طبيعة بلاد الرافدين يستوجب الحديث عن الأقوام البشرية التي سكنت المنطقة، وهذه الأقوام تتمثل في السومريين والساميين، فمن هذه القوام؟ و ما هو موطنها الأصلي؟.

أ- السومريون:

لقد اختلف العلماء والباحثين في تحديد أصل السومريين وقد وردت عدة آراء حول أصولهم ونسبهم وموطنهم:

حسب طه باقر: "هم أحد الأقوام الذين عاشوا في جهة ما من واد الرافدين في عصور ما قبل التاريخ، ثم استقروا في السهل الرسوبي منه في حدود الألف الخامسة قبل الميلاد استوطنوا في القسم الجنوبي من العراق ".

وأول شعب عرفه التاريخ من شعوب منطقة بلاد الرافدين هو الشعب السومري نسبة إلى المنطقة الجنوبية التي كانت تعرف تحت اسم (سومر) والواقعة بالقرب من المصب القديم لنهري الدجلة والفرات، إذ أن هذا المصب بدأ يتراجع نحو الجنوب بفعل انحسار ماء البحر، وتحول البحيرات إلى سهول بفعل الطمي الذي يجلبه النهران من الشمال.

ولا يزال التاريخ إلى يومنا هذا عاجزا في أن يفصل بصورة نهائية بشأن أصل السومريين والسلالة البشرية التي ينتمون إليها، والطريق الذي سلكوه وصولا إلى المنطقة.

وقد اتجه العلماء إلى البحث عن العناصر ذات الأصل السومري التي يمكن أن يوجد وجه شبه بينها وبين العناصر الأخرى سواء تعلق الأمر بالجانب الفكري أو المادي، وقد ثبت وجود تلك الروابط بين العيلاميين والسومريين مما أعطى اتجاها شرقيا لأصلهم ويتعلق الأمر هنا بمنطقة السند و بلوخستان (خارابا) من وادي السند، مستندين في ذلك على التشابه الحضاري ما بين حضارة وادي السند والحضارة السومرية، حيث شابهت في بداية تكوينها طراز الفخار السومري القديم وزخارفه في بلاد الرافدين مع نماذج وزخارف الفخار القديمة التي انتشرت جنوبا وشرقا حتى مقاطعتي خاربا(بلوخستان) وموهنجو دارا بسهول السند.

غير أن هذا الاتجاه ليس له في الواقع ما يؤكده، ذاك أن العثور على مخلفات حضارية لإحدى الحضارتين في مواقع الحضارة الأخرى لا يعني بالضرورة أن السومريين جاؤوا من الهند فالتبادل التجاري يمكن أن يكون وراء هذه المخلفات.

وذهب رأي آخر إلى الاعتقاد بأن السومريون قد وصلوا إلى جنوب بلاد الرافدين في فترة العبيد، حيث يلاحظ بروز عناصر حضارية جديدة، وأن إيران كانت مصدرهم وهذا اعتمادا على

فخار العبيد الذي وجد في منطقة إيران من جهة و لتشابه عادات الدفن من جهة أخرى، ثم استمدت الحضارة السومرية خلال عصر الوركاء وازدهرت وتطورت خلال فترة جمدة نصر.

وهناك احتمال بأنهم وصلوا إلى بلاد الرافدين عن طريق أرمينيا، وبالتالي فإن أسيا الوسطى تكون هي موطنهم الأصلي، وقد نزحوا منها لاحتلال الجبال المحاذية لمنطقة القوقاز ثم انتشروا بعد ذلك من البحر الأحمر إلى الهند عن طريق الأناضول و إيران وأفغانستان لتعمير بلاد الرافدين، وعيلام على الأقل جزئيا، ثم سوس الأولى والبنجاب.

وقد اتجه بعض العلماء إلى الاعتقاد بأن السومريين كانوا يقطنون في بادئ الأمر جبال كردستان ويأوون كهوفها ثم هاجروا فيما بعد إلى العراق من هذه المرتفعات الشمالية الشرقية عن طريق أرمينيا وإيران.

ويدعم أصحاب هذا الموقف رأيهم بطريقة تشييد السومريين لمعابدهم فوق صروح مدرجة مرتفعة تشبيها بالمنطقة الجبلية التي اعتادوا على الحياة فيها، إضافة إلى الزيقورات وكيفية بنائها، وهي من أهم خصائص العمارة الدينية المشيدة، والتي اقتربت من شكلها وظاهرة الارتفاع فيها من الهضاب والجبال، وكل ذلك ينطوي على أساس تعبير إنساني مقتبس من البيئة الطبيعية التي كانت منطبعة في أذهان السومريين، و إن كان لا يمكن إقراره بصفة نهائية، فضلا عن لباسهم الصوفي وصناعتهم للنحاس لأن الصوف لا يطابق في بلاد الحجارة كالعراق والمعادن ولا مناجم فيه، وهو ما يفسر قدومهم من مناطق جبلية عالية وغنية بالنحاس.

بينما ذهب البعض الآخر من المهتمين بالأصول السومرية إلى اعتبارهم من الأقوام المحلية التي سكنت العراق القديم منذ العصر، وإنما لم تأت من خارج بلاد الرافدين، نزحت من الشمال نحو الجنوب.

ويستدل أصحاب هذا الرأي لكون الحضارة السومرية في الكثير من عناصرها ليست سوى تطورا طبيعيا واضحا من حضارات عصور ما قبل التاريخ التي ازدهرت في البلاد، ولهذا من الأمور المتفق عليها بين غالبية العلماء في العصر الحاضر أن السومريين هم سكان العراق الأصليون وهؤلاء ليسوا من الساميين، وأنهم كانوا يعرفون بأصحاب حضارة العبيد في وسط العراق وجنوبه و كانت أراضيهم تمتد جنوبا إلى جزيرة ديلمون.

وقد استمرت آراء علماء الأجناس والتاريخ متضاربة في أصل الشعب السومري، ولعل من أوضح الآراء وأقربها هو أنه مكون من خليط من الجنسين، فبعض القبائل وفدت من بلاد إيران، وبعضها جاء من شبه الجزيرة العربية ومن امتدادها في الشمال، وعلى مر الزمن قد اندمجت

هذه القبائل في بعضها، وتم فيما بينها التآلف والتشابك مما جعل منها شعبا موحدا له نظامه الخاص وحياته السياسية الخاصة، وذلك بحكم طبيعة البيئة وما تقدمه من إغراء في الإقامة ووسائل الحياة.

ب- الساميون:

بالنسبة لتسمية هذه الاقوام بـ(الساميين) فقد أطلقه لأول مرة الباحث النمساوي (اوغست فردريك شلوتزر) في مقالة عن الكلدانيين عام 1781، حيث قال فيها : " من البحر المتوسط إلى الفرات، ومن ارض الرافدين حتى بلاد العرب سادت كما هو معروف لغة واحدة . ولهذا كان السوريون والبابليون والعبريون والعرب شعباً واحداً . وكان الفينيقيون (الحاميون) أيضا يتكلمون هذه اللغة التي أود أن اسميها اللغة السامية" وهذه التسمية نسبة إلى سام بن نوح اقتبسه شلوتزر من العهد القديم سفر التكوين الإصحاح العاشر (21-31) والإصحاح الحادي عشر (10 – 26) والذي يتحدث عن انساب سام بن نوح وأطلق تلك التسمية على الأقوام التي استقرت في سوريا وفلسطين والعراق منذ أقدم الأزمنة وعلى لغاتها المتشابهة، ثم استخدم المصطلح ليشمل الأقوام العربية الشمالية والأقوام الاكدية والبابلية والأشورية والكنعانية والأمورية والعبرية والأرامية وغيرها من الأقوام على حد سواء، وقد استعمل هذا المصطلح الكثير من الكتاب والمؤلفين العرب والأجانب.

اختلف الباحثون وتعددت الآراء في تحديد الموطن الأصلي للأقوام السامية؛ الغالبية منهم يتفق على أنهم من شبه الجزيرة العربية، وإنما يكمن الاختلاف ضمن حدود الجزيرة نفسها، فمنهم من يرى أنهم من المناطق الساحلية للخليج العربي وتحديداً منطقة العروض في البحرين، ويرى البعض الآخر بان اليمن هي مصدر هجرة القبائل إلى شمال الجزيرة حتى في فترة قبيل الإسلام وبعده.

ويرى آخرون بأنهم جاءوا من المنطق الشمالية الشرقية لإفريقيا بالاستناد إلى بعض المفردات المتشابهة في اللغات السامية والحامية، ويرى الأستاذ جواد علي بأن أرض الأموريين (المناطق الغربية للفرات) هي الموطن الأصلي لهم.

وهناك من يرى أن أرمينيا وجبالها الأبرز (آرارات) هي الموطن الأصلي للساميين وهذا الرأي نراه يعتمد على النص التوراتي الوارد في سفر التكوين (10 : 22، 24) حيث يجعل الأمم السامية أبناء (ارفخشد بن سام) وهو الذي سميت باسمه منطقة اريخيتيس Arrapachitis الواقعة بين الحدود بين ارمينا وكردستان ، وربما أن نسبة هذه الأقوام (السامية) إلى هذه المنطقة راجعة إلى الرواية القائلة بان سفينة النبي نوح –عليه السلام – قد رست بالقرب من تلك

المنطقة أو على جبل آرارات في منطقة يريفان (عاصمة أرمينيا)، كما جاء في الاصحاح الثامن واستقر الفلك في الشهر السابع، في اليوم السابع عشر من الشهر، على جبال اراراط.

إلا أن معظم الباحثين يتفقون على أن منطقة الجزيرة العربية وبوادي الشام والعراق كانت الموطن الأصلي للساميين ومنها اتجهوا إلى المناطق الاخصب مثل وادي الرافدين.

وبالنسبة للإطار التاريخي للتواجد السامي في المنطقة يرى هاري ساكرز أنه في بداية العصور التاريخية، أي بعد بداية الألف الثالثة قبل الميلاد مباشرة، كان بالإمكان تمييز ثلاثة عناصر عرقية وحضارية في بلاد بابل وهم الساميون، والسومريون، وربما عنصر ثالث ملامحه غير معروفة مع وجود أعداد كثيرة من الكلمات السامية المستعملة في اللغة السومرية.

المحاضرة الثالثة:

المراحل الكبرى لحضارة بلاد الرافدين:

مر تاريخ حضارة بلاد الرافدين بالمراحل التالية:

1- العهد السومري القديم:

كان يسمى هذا العهد الأول من الحكم السومري بفجر السلالات الأولى 2800 – 2370 ق.م، والتي كانت تقوم على نظام المدن الدول، بمعنى كل مدينة هي دولة بحد ذاتها، لها اقتصادها الخاص ومعتقداتها الخاصة وآلهتها الخاصة وحكامها الخاصون، أي مدن دول مستقلة عن بعضها البعض، و أبرزها أوروك ولجش و أوما في الجنوب وكيش في الشمال، أخذت هذه المدن تتصارع وتتنافس فيما بينها، على الأراضي الزراعية وعلى مصادر المياه لأن النشاط الزراعي كان هو أبرز نشاط تقوم به هذه المدن الدول.

وتشير قائمة الملوك السومرية الى ان الملكية نزلت من السماء في كيش، وورد ذكر ثلاثة وعشرين ملكا في وثيقة قائمة الملوك السومرية من بينهم الملك **ايتانا** صاحب اسطورة الصعود الى السماء، ومن ملوك سلالة كيش يمكن الاشارة الى **أجا** الذي عاصر الملك **جلجماش** احد ملوك مدينة الوركاء، وحسب قائمة الملوك السومرية فقد تعاقب على حكم البلاد احدى عشر سلالة من بعد سلالة اور الاولى.

2- العهد الاكدي: (2370 – 2230ق.م.)

يرتبط نشوء الدولة الاكدية بشخصية" **سرجون الاكدي**" الذي استطاع توحيد البلاد، وينتمي "سرجون" وعائلته إلى قبائل تتكلم أحد اللهجات السامية، ويعتقد أن أصوله تنتمي إلى البدو نصف المتحضرين على أواسط الفرات، وما ساعده إلى الوصول إلى سدة الحكم ولملمة الدول المتبعثرة تحت حكمه المركزي الموحد هو تنازع تلك الدول فيما بينها ، وتذمر الشعب من فساد سلطة الكهنة من جهة أخرى.

استطاع سرجون القضاء على جميع منافسيه، انطلقت حملته من مدينة "كيش" إلى أن وصل إلى الخليج العربي، أما حدوده الشمالية فقد وصلت إلى مملكة "ماري"، وقد حكم "سرجون" 56 سنة استطاع خلالها خلق وحدة سياسية مركزية، التي قضت على نظام المقاطعات حكام مدن الدول، فأصبح الملك يدير شؤون المقاطعات الزراعية، دون أن يكون للكهنة دورا فيها.

وقد حكم حكام كثر من بعد سرجون الاكدي كان أشهرهم " نرام سين" الذي اعتبر أقوى ملوك الأكاديين بعد "سرجون"، نظرا للقوة التي وصلتها البلاد في عهده، حيث استطاع أن يمد حدود الإمبراطورية الأكادية إلى مدينة "ابلا"، كما عرفت الإمبراطورية استقرارا في عهده، غير أن الحكام من بعده لم يكونوا بنفس المستوى، مما دب في أرجاء الإمبراطورية الضعف.

3- عهد الاحياء السومري: (2012-2004 ق.م)

يطلق عليه كذلك العهد السومري الحديث، يرتبط هذا العهد باخر اسرة سومرية حكمت المنطقة وهي سلالة "**ارو الثالثة**" التي اسسها "**الملك اورنمو**" ، وقد قام هذا الملك باخضاع بلاد سومر وبلاد اكاد، وهو صاحب زيقورة اور الثالثة، واشتهر كذلك بتشريعه للقوانين

دامت فترة حكم سلالة اور الثالثة 108سنوات، تعاقب على الحكم 5 ملوك استطاعوا أن يؤسسوا دولة تمتد من الخليج الغربي جنوبا إلى أقصى الرافدين شمالا، أي نفس الحدود التي كانت للدولة الأكادية.

كان الملك في هذا العصر لا يستمد سطته من المصدر الإلهي بل كان نفسه هو المصدر الإلهي لأن الملك إله في هذا العصر.

مع تغلغل قبائل " المارتو" إلى داخل بلاد الرافدين بدأ الانهيار يدب في سلالة أور الثالثة، هذه القبائل التي كانت توصف في اللغة الأكادية "بالعموريين " التي كانت سببا في تلاشي عصر سلالة أور الثالثة، التي دخلت بلاد الرافدين إلى أقصى سهول الرافدية الجنوبية، تسمى هذه القبائل السامية الغربية، وبالكنعانية تارة أخرى.

4- **العهد البابلي :**

يقسم الباحثون التاريخ البابلي الى إحدى عشرة سلالة مرت على حكم مدينة بابل اشهرها :

- سلالة بابل الأولى (العهد البابلي القديم) :(1894 -1531 ق.م):

ظهرت سلالة بابل الأولى في وقت كانت البلاد مقسمة الى عدة دويلات مدن متنافسة وأشهرها مدينتي "ايسن"و"لارسا"، وقد حكم هذه السلالة 11 ملكا لمدة ثلاث قرون كان أشهرهم الملك حمورابي الذي أعاد الوحدة السياسية للبلاد.

الملك حمورابي: (1792–1750 ق.م) حين تولى حمورابي الحكم في مدينة بابل بدأ مشروعه الكبير في إعادة توحيد البلاد، وأنجزه في العام الثامن والثلاثين من حكمه، وأعقب ذلك إصداره لشريعته المشهورة. واشتهر هذا العصر بإنجازاته الكبيرة مثل بناء المعابد وتقوية الحصون والأسوار في عاصمته بابل وفي مدن مملكته الأخرى وتنظيم الجيش وشؤون إدارة البلاد.

-الاسرة البابلية الثانية (1740- 1500 ق.م):

تعرف بسلالة القطر البحري، نشأت هذه السلالة في الجزاء الجنوبية من البلاد، حكم هذه السلالة 11 ملكا، دخل حكام هذه السلالة في صراع كبير مع ملوك بابل، ودمرت نتيجة هذا الصراع مدن كثيرة في الجنوب من بينها مدينة" اور" ، ولم يتمكن احد الطرفين من القضاء على الاخر الا ان جاء الكشيون وقضوا على استقلالها في سنة 1500ق.م

-الاسرة البابلية الثالثة (الكشيون):1518- 1157 ق.م:

يرجح ان يكون الكشيون قد نزحوا من المنطقة الوسطى من جبال" زاجروس"، ودخلوا بابل بعد انسحاب الحثيين منها، وقد تلقب ملوك الكشيين بلقب "ملك سومر وأكاد" و"ملك بابل"، وأطلقوا على بابل تسمية" **كار دويناش**" أي **بلاد الاله دويناش**"، وانتهت دولتهم على يد العيلاميين بعد ان حكموا بلاد الرافدين لأكثر من اربعة قرون.

الاسرة البابلية الرابعة: 1124- 1103 ق.م:

امتد حكم هذه السلالة لقرن من الزمن تقريبا حكم خلاله ستة ملوك اشهرهم **نبوخذ نصر الاول** .

5- العهدالآشوري:

إن الآشوريين من القبائل السامية التي استوطنت قبائلها المناطق ما بين نهرين في الشمال الغربي حوالي الألف الثالثة قبل الميلاد، وقد اشتهرت المدينة " آشور" بازدهارها التجاري وأخذت كعاصمة للدولة الآشورية في أغلب مراحلها.

العهد الآشوري القديم 2100 – 2530 ق.م.:

تتشكل الفترة من ظهور مدينة "آشور" حتى زوال سلالة بابل الأولى، تمتاز الفترة المبكرة من تاريخهم بالغموض بحيث دخلوا في النفوذ السومري في عهد سلالة " أور الثالثة " ثم تحت السيطرة البابلية، وظهر من الآشوريين عدد من الملوك أشهرهم "شمش داد"، الذي سيطر على

القسم الشمالي من بابل، وعاصر الملك البابلي "حمورابي" وانكسر طموحه في مد سلطانه على جنوب بلاد الرافدين.

العهد الآشوري الوسيط 1500 – 911 ق.م.:

حكم آشور في هذه الفترة ملون ضعفاء في ظل وجود قوتين متصارعتين، إلى أن جاء الملك الآشوري "أبلوط الأول" الذي استطاع وضع النواة الأولى للإمبراطورية الآشورية القوية.

العهد الآشوري الحديث 911 – 612 ق.م:

ويعرف كذلك بالعهد الإمبراطوري، غلب على هذا العهد الحكم المطلق والطابع العسكري للدولة، هذا العهد ازدهر كثيرا وتطور معماريا، حيث كانت آشور في هذا العصر قوة عسكرية كبيرة، وتمكنوا من الوصول إلى المناطق الجنوبية من بلاد ما بين النهرين وفي الشمال وصلوا حتى نينوى.

6- العهد البابلي الحديث (الدولة الكلدانية) 626-539 ق.م

بعد ان تمكن" نبوبلاصر" من هزم الأشوريين في نيبور، اعلن نفسه ملكا على بابل مؤسسا بذلك الأسرة البابلية الحادية عشرة التي تعرف بالمملكة الكلدانية.

ويعتبر الملك" نبوخذ نصر الثاني" أشهر ملوك هذا العصر، حيث كانت له انجازات كثيرة منها هزيمته لمصر ومختلف القوى المتحالفة معها في الشرق الأدنى القديم، وكذلك تدميره لبيت المقدس سنة 586 ق.م وسبيه لليهود وتهجيرهم الى بابل.

وفي سنة 539 سقطت الدولة الكلدانية على يد الفرس بقيادة الملك "**قورش**"

السداسي الأول

المحور الاول: حضارة بلاد الرافدين

المحاضرة الرابعة:طبقات المجتمع، القوانين(الشرائع) العراقية القديمة

:طبقات المجتمع

1- طبقة الأحرار:

الطبقة العليا هي التي تضم أحرار المجتمع من الذين يمتلكون الحرية الكاملة، ويتمتعون بكل حقوق القانون العام المقرر للمواطنين وتثبت لهم الشخصية القانونية منذ ولادتهم وحتى مماتهم، كما أفرادها يتقدمون عامة الشعب ويحتلون مراكز اجتماعية مرموقة قد تكون سياسية أو إدارية أو اقتصادية.

ويأتي الملك وأسرته في مقدمة تكون هذه الطبقة ويحتل مركزا مقدما لدى العراقيين القدماء باعتباره ممثل الآلهة على الأرض ونائبها.

وتتكون أيضا هذه الطبقة من الكهنة و أصحاب الإقطاعيات الكبيرة وقادة الجيش وضباطه وكبار موظفي الدولة من حكام وقضاة وكتبة ومفتشين ومراقبين وغيرهم من الموظفين، كما ضمت هذه الطبقة كبار التجار والصناع وأصحاب رؤوس الأموال.

2-الطبقة الوسطى(مشكينوم):

تحتل هذه الطبقة مركزا أوسطا بين الطبقة العليا من جهة وطبقة الأرقاء من جهة أخرى، وكان أفرادها أحرارا يتمتعون بالحرية ولكنها مقيدة ولا يجوز بيعهم من قبل الغير.

وبسبب وضعهم الاجتماعي والاقتصادي الخاص فرضت عليهم قيود قانونية معينة، هذه القيود جعلت الباحثين يختلفون في تسمية أفراد هذه الطبقة فقد ذهب صبيح مسكوني إلى اعتبار اللفظ البابلي "مشكينوم" أساس التسمية وقاربه إلى اللفظ العرب "مسكين"، بينما نعتهم طه باقر بـ"المقيدة حريتهم"،وأطلق عليهم آخرون "الشخص الذي ينفى" أو " المرؤوس، الوضيع"، كما أطلق البعض عليهم بـ" طبقة العامة" أي عامة الشعب من الأحرار.

ومن الباحثين من قال أنصاف أحرار ومنهم من قال أنهم عبيد الأرض، ذكر آخر على أنهم موالي أو فقراء، مما كانت الآراء في ذلك فإنهم في الراجح يشكلون طبقة وسط بين طبقة العلياوالأرقاء، على أساس أن الفرد من هذه الطبقة كان عمليا نصف حر ونصف عبيد وبذلك يحتل مركزا أوسطا بين طبقة الأحرار وطبقة العبيد، فهم بذلك يتألفون من المواطنين الأحرار غير كاملي الحقوق إذ كانت امتيازاتهم الاقتصادية والقانونية أقل بكثير من امتيازات طبقة الأحرار كاملي الحقوق.

وقد كانت مصالح هذه الطبقة تقع ضمن اهتمامات الملك وتحت حمايته من خلال ما سنه من قوانين ونظم، وفي بعض الأحيان يعبر عن تلك المصالح بأنها مصالح القصر نفسه، فقد كانت لأبناء هذه الطبقة الحق في امتلاك البيوت والحيوانات، والأموال ولهم الحق في التصرف بها بكل حرية، وملك بعضهم الرقيق ولكن بعدد قليل، ولذلك فإن العمل الاقتصادي وحده لا يمكن اعتباره السبب الرئيسي أو الوحيد المؤثر في نشأة هذه الطبقة، إذ كان للتطور الاجتماعي والسياسي دور في حصول التمايز الطبقي في المجتمع، وإعطاء هذه الطبقة معالم خاصة بها، فبالرغم من تمتع أبناء هذه الطبقة بالحرية إلا أنهم خضعوا بشكل كبير جدا إلى أفراد الطبقة العليا لحد قيامهم بأعمال السخرة التي يتكفلون بها، وفي كثير من الأحيان كانوا يجبرون على المساهمة في القيام بأعمال الري والبناء، وينفذون أوامر الدولة فيما يخص التجنيد للخدمة العسكرية كواجب عليهم.

3-طبقة العبيد

العبيد هم الطبقة الدنيا والأخيرة من طبقات المجتمع في بلاد الرافدين، وهم الأقل حظا من الناحية الاجتماعية والاقتصادية، وقد ازدادت أعدادهم نتيجة تطور المجتمعات وازدياد الحروب والظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية، الأمر الذي جعل القوانين السومرية والبابلية تخصص لهم مواد قانونية تعالج فيها مختلف القضايا المتعلقة بهم.

ويتم الحصول على العبيد من عدة مصادر منها الأسر من خلال الحروب، أو استرادهم من البلدان المجاورة أو من خلال تحول أشخاص أحرار إلى عبيد بسبب ظروف اقتصادية أو اجتماعية قاسية وعجزهم عن دفع الدين إلى الدائن، أو لأسباب قانونية.

ورغم الامتيازات والحقوق التي تحصل عليها أفراد طبقة العبيد في شريعة حمورابي، إل أنهم كانوا في مركز السلعة لا البشر ،فالرقيق كأي سلعة تخضع للمعاملات اليومية المختلفة كالبيع والرهن وغيرها، كل ذلك من دون الالتفات إلى رأي الرقيق نفسه لأنه يعد قانونيا معدوم الإرادة.

القوانين (الشرائع) العراقية القديمة:

يمكن تقسيم الشرائع المدونة في بلاد الرافدين إلى ما يلي:

1- إصلاحات أوركاجينا:

يعد أوركاجينا أقدم مشرع ومصلح اجتماعي في التاريخ، ويعتبر الحاكم الثامن من سلالة لجش الأولى وآخر حكامها، فقد حكم مدة ثمانية سنوات (2378 – 2370)، وقد وصفته إحدى الوثائق المسمارية بأنه حاكم صالح يخاف الآلهة وأنه أعاد حرية المواطنين الذين عانوا المظالم الكثيرة.

وقد وصلت إلينا هذه الإصلاحات مدونة بالخط المسماري و باللغة السومرية على ثلاث مخاريط فخارية وعلى لوح فخاري بيضوي، اكتشفت في مدينة لجش من قبل البعثة الفرنسية وذلك عام 1878، وقام بدراستها الباحث الفرنسي "فرنسوا ثورو– دانجان" (Fransothwro–Dangin)، وتحتوي إصلاحات هذا الملك على ثلاثة نصوص يبدأ النص الأول بالمفاخرة بأعمال أوركاجينا، من خلال ذكر ما قام به من تشييد وتعمير لاسيما بناء معبد الإله "باو" (Bau) والإلهة "ننكرسوا"(Ningrsu)، وهما ألهتا مدينة لجش المحلية، وبعد ذلك يبدأ النص بذكر ما تعاني منه البلاد من أوضاع صعبة وفساد مسؤولين.

وقد جاء النص الثالث من إصلاحات أوركاجينا مشابهة لما جاء في النصيين الأول والثاني، غير أنه يحتوي على عقوبات أصدرها الملك أوركاجينا على أنواع من الجرائم كانت شائعة في ذلك الوقت مثل السرقة، وتكون عقوبتها الرجم بالحجارة، أما المواد المسروقة التي يعثر عليها فإنها ترفع أو تثبت على باب كبير ربما للإشهار بتلك الحاجيات التي سرقت بغية مشاهدتها من قبل صاحبها ومن ثم المطالبة بها.

وتقع كذلك عقوبة الرجم على المرأة التي تتزوج رجلين في وقت واحد، أما المرأة التي تتطاول على الرجل بعبارة لا يجوز لها قولها فيكون عقابها هو سحق أسنانها بالطابوق المحترق.

ويمكن القول أن إصلاحات أوركاجينا لا تعتبر من الشرائع التي ظهرت فيما بعد، وإنما تعد من الاعمال التي حاول من خلالها الملك أوركاجينا نشر العدالة بن الناس وردع الأقوياء ومنعهم من ظلم الفقراء.

ولهذا فيمكن إطلاق صفة التنظيمات الإدارية التي كانت بمثابة الخطوة الأولى لظهور التشريعات والقوانين في مراحل لاحقة.

- **شريعة أورنمو:**

في عام 1952 استطاع عالم المسماريات صموئيل نوح كريمر من التعرف على لوح مسماري محفوظ في متحف الشرق القديم في اسطنبول يحتوي على أجزاء من الشريعة التي أصدرها الملك السومري "أورنمو" واللوح المذكور عثر في مدينة "نفر"، وبعد فترة من الزمن استطاع العالم نفسه وعالم مسماري آخر يدعى "كورني" أن يتعرفا على كسرتين لرقيم طيني من "أور" يحوي أجزاء أخرى من شريعة نفس الملك، وبعدها استطاع عالم المسماريات "فنكل شتاين" أن يقدم دراسة متكاملة عن شريعة أورنمو.

وأورنمو هو الملك السومري الذي أسس سلالة أور الثالثة والتي عرفت باسمه، وبدأ عهده فيها حوالي (2050 ق.م.)، وأصبح ملكا على دولة سومر بتأسيس هذه السلالة التي عرف عصرها بعصر أور الذهبي، بسبب ما شهدته من تقدم ورخاء اقتصادي، وهو باني الزقورة الموجودة في أور.

وتعتبر شريعة أورنمو من أقدم التشريعات المكتوبة في العالم كله، وكتب بالخط المسماري باللغة السومرية، وقد عثر كما أشرنا سابقا على نسخة من شريعة أورنمو في مدينة "نفر""نيبور"(Nippor) على شكل لوح من الطين وفي حالة سيئة، وكان هذا اللوح الطيني المجفف بالشمس بلون أسمر فاتح والكتابة التي احتوتها تحطم أكثر من نصفها، وقسم الكاتب القديم هذا اللوح إلى ثمانية أعمدة، أربعة منها في الوجه الأول والأربعة الأخرى في الوجه الآخر، واحتوى كل واحد من هذه الأعمدة على خمسة وأربعين جزءا صغيرا، والجزء الأكبر من الكتابة التي في لم تكن واضحة، وقد تمكن الباحثون من قراءة خمس مواد من الشريعة وجزء من المقدمة في هذا اللوح، بينما تمكن الباحثون من قراءة ما يزيد عن اثنين وعشرين مادة من الشريعة في اللوح الذي عثر عليه في مدينة أور.

ويعتبر وجود نسخ من الشريعة في أكثر من مدينة دليل على أن هذه الشريعة قد أخذ العمل بها وطبقت قوانينها في المدن التي خضعت لسيطرة وحكم أورنمو.

ويعتقد أن مجموع مواد شريعة أورنمو كانت أكثر من ثلاثين مادة، وتحتوي الشريعة في شكلها الكامل على مقدمة ونصوص المواد والخاتمة.

وتتناول مواد الشريعة قضايا الأحوال الشخصية كالزواج والطلاق والخطوبة والخيانة والاغتصاب، وكذلك هروب الرقيق والاعتداء على الأشخاص وشهادة الزور وعقوبتها والاعتداء على الأراضي وبقية الأمور ذات العلاقة بالزراعة.

شريعة أشنونا:

تنسب شريعة أشنونا إلى الملك" بلا لاما" رابع ملوك المملكة، وقد عاش هذا الملك في أواخر الألف الثالث قبل الميلاد، وكانت مملكة أشنونا في ذلك العهد مستقلة وظلت كذلك حتى أواخر أيام حمورابي، حيث قضى على استقلالها في عامه الثاني والثلاثين وضمها إلى إمبراطوريته.

وقد تطرقت شريعة أشنونا في موادها إلى قضايا مهمة ومختلفة في المجتمع منها تحديد الأجور والأسعار (التسعيرة)، وهذه الفكرة لم نجدها في بقية الشرائع بأسلوب الذي وجدناه في شريعة أشنونا، واهتمت كذلك بالعقوبات حيث جمعت في مجموعة من موادها بين القصاص والدية أو التعويض، فأقرت مبدأ عقوبة القتل على القاتل ومبدأ الدية على الجروحالتي تؤدي إلى الموت،وفضلا عن ذلك فقد اهتمت شريعة أشنونا بتنظيم العلاقات الأسرية مثل شروط الزواج والعقود التي تبرم لذلك والمهر و الطلاق، وما تشمله التجارة من معاملات.

4-**شريعة لبت عشتار**:

تنسب هذه الشريعة للملك لبت عشتار، خامس ملوك سلالة أسين، والذي حكم في النصف الأول من القرن التاسع عشر قبل الميلاد (1943 ق.م.- 1924 ق.م.)، وتعتبر هذه السلالة من أهم السلالات التي حكمت بعد سلالة أور الثالثة وبداية العهد البابلي القديم، والطابع الذي تغلب عليها هو الحضارة السومرية ولذلك دونت هذه الشريعة باللغة السومرية، رغم أن مقننها سامي الأصل وليس سومريا وهذا في الواقع دليل على أن السومريين لا يزالون يمثلون أغلبية سكان وادي الرافدين زمن تدوين هذه الشريعة.

وقد تم الكشف على هذا التشريع وهو مدون على كسر من الألواح الطينية، يبلغ عددها سبع، تحتوي على جزء من المقدمة والخاتمة، أما المواد التي تضمنتها هذه الألواح فهي سبعة وثلاثون مادة وهو كل ما تم التعرف عليه، وقد عثر عليها من طرف بعثة جامعة بنسلفانيا في مدينة "نفر" في السنوات الأولى من بداية القرن العشرين، ونشرت نصوصها لأول مرة سنة 1947.

5- شريعة حمورابي:

تأتي شريعة حمورابي بعد تشريع لبت عشتار من حيث التسلسل الزمني والقدم، ويعتبر حمورابي كما أشرنا سابقا من أشهر ملوك العهد البابلي القديم، ويحتل الترتيب السادس في سلالة بابل الأولى، واستمر حكمه ما يقرب 42 سنة، وكان له شأن عظيم في بابل منذ أن بدأ الحكم فيها سنة 1792 ق.م، حيث أعاد وحدة حوض بلاد الرافدين وكانت فترة حكمه مزدهرة وعرفت فيه بابل تطورا حضاريا كبيرا، وهذا ما بينته الآثار القديمة التي تم الكشف عنها وأهمها مجموعة القوانين التي عرفها التاريخ بشريعة حمورابي.

- اكتشاف مسلة شريعة حمورابي:

اكتشفت مسلة شريعة حمورابي في مدينة سوسة عاصمة بلاد عيلام (قلعة الشوش حاليا في جنوب غرب إيران)، بين سنتي 1901 – 1902 على يد البعثة الأثرية الفرنسية برئاسة عالم الآثار جاك دي مورغان j– de morgan ، وكان أول مننشر بحثا عن المسلة العالم الفرنسي الأب شايل v. scheil في عام 1902،ونقلت هذه المسلة من مدينة سيبار إلى سوسة من طرف الملك العيلامي " شتروك ناخونته" الذي غزا بابل حوالي 1171 ق.م.

إن مسلة حمورابي عبارة عن قطعة واحدة من حجر الديورايت الأسود بشكل شبه أسطواني، يبلغ طول المسلة 2025سم ومعدل قطرها في الوسط 60 سم، يحتل الثلث العلوي من وجه المسلة المشهد الفني المشهور الذي يصور الملك حمورابي واقفا أما الإله شمش، وقد تم نقشه وهو جالس على كرسي عرشه ويقوم بترديد القوانين على الملك حمورابي الواقف أمامه، وقفة المتعبد الخاشع رافعا يده بالصلاة وهي صلاة رفع اليد التي يطلق عليها في البابلية "نيش قاتي"(Nichq qati)، ويظهر الملك حمورابي في النقش يرتدي قلنسوة على رأسه.

وقد رتبت مواد شريعة حمورابي في أربعة وأربعين حقلا، وكتبت باللغة البابلية وبالخط المسماري، وبلغ عددها 282 مادة، ومن المرجع أنها كانت تزيد عن 300 مادة، وبالرغم ما أصاب المسلة من تدمير فقد تم التعرف على ما تم محوه من مواد

تاريخ وضع الشريعة:

لا توجد أي إشارة في الشريعة إلى أي من السنين التي حكم فيها حمورابي قد أصدر فيها شريعته، إلا أن الرأي الراجح هو أن شريعة حمورابي قد صدرت في صورتها النهائية في السنين الأخيرة من حكمه، حيث كانت بلاد الرافدين في تلك الفترة موحدة وبالتالي من الطبيعي أن يعقب هذا التوحيد السياسي لبلاد ما بين النهرين توحيد للقوانين المطبقة فيها.

ويرى الأستاذ طه باقر أن حمورابي قد أصدر شريعته بعد حكمه السابع والثلاثين، وقد تكون سنة الأربعين من حكمه الأقرب إلى الصحة، وهذا بعد أن تمكن من إخضاع الأقاليم الجنوبية الشمالية والغربية والشرقية.

مواد شريعة حمورابي:

يتألف نص شريعة من ثلاثة أجزاء رئيسية هي المقدمة والمواد القانونية ثم الخاتمة.

وقد قسمت مواد شريعة حمورابي على ثلاثة عشر قسما وهي:

القسم الأول: يحتوي على المواد من 1 – 5 التي تتعلق بالقضاء والشهود.

القسم الثاني: يحتوي على المواد من 6 – 25 وتتعلق بالسرقة والنهب.

القسم الثالث: يحتوي على المواد من 26 – 41 وتتعلق بشؤون الجيش.

القسم الرابع: يحتوي على المواد من 42 – د وتتعلق بشؤون الحقل والبيت والبساتين.

القسم الخامس: يحتوي على المواد من هـ – 107 وتتعلق بالقروض ونسبة الفائدة والتعامل مع صغار التجار وكبارهم.

القسم السادس: يحتوي على المواد من 108 – 111 وتتعلق بساقية الخمر.

القسم السابع: يحتوي على المواد من 112 – 126 وتتعلق بالائتمان والديون.

القسم الثامن: يحتوي على المواد من 127 – 194 وتتعلق هذه المواد بالشؤون العائلية كالزواج والطلاق والإرث والتبني وكل ما له علاقة في الروابط العائلية.

القسم التاسع: يحتوي على المواد من 195 – 214 وتتعلق بعقوبات القصاص والغرامات المفروضة على الأضرار التي يحدثها الأفراد بعضهم لبعض عند الشجار.

القسم العاشر: يحتوي على المواد من 215 – 227 وتتعلق بالطب والطبيب البيطري والوسيم.

القسم الحادي عشر: يحتوي على المواد من 228 – 240 وتتعلق بالأسعار وتعيين أجور بناء البيوت والقوارب والصناع والرعاة كما أنها تتعلق بالعقوبات المفروضة على من يخل بالتزاماته.

القسم الثاني عشر: يحتوي على المواد من 241 – 277 وتتعلق بأجور الحيوانات والأشخاص.

القسم الثالث عشر: يحتوي على المواد من 278 – 282 وتتعلق بشراء العبيد وعلاقتهم بأسيادهم

– خصائص ومميزات شريعة حمورابي:

تعتبر شريعة حمورابي من أكمل وأنضج الشرائع الوضعية المدونة والمكتشفة لحد الآن، وقد اتسمت ببعض الخصائص والمميزات التي تميزها عن غيرها من الشرائع والقوانين الشرقية والغربية التي تزامن ظهورها معها وهي:

– تتميز شريعة حمورابي بأنها كتبت بأسلوب علمي راقي مشابه لأسلوب القوانين والشرائع الحديثة، وأنها لم تكتب بأسلوب شعري، كما تتميز موادها بوضوح عباراتها وصيغتها القانونية.

– تجاوزت الشريعة كل ما هو بدائي من الأحكام التي تخص الحالات الجنائية، من خلال وضع كل تلك القضايا ضمن اختصاصات الدولة والسلطة، وعدم فسح المجال

أمام الأشخاص الذين يرغبون في أخذ حقوقهم عن طريق الثأر والانتقام.

– مصدر الأحكام التي تضمنتها مواد شريعة حمورابي متعددة، فقسم منها أخذ من أعراف وقواعد قديمة متعارف عليها، وقسم آخر أخذ من ما كان يصدر من أحكام قضائية، وشملت أيضا على أشياء جديدة شرعها حمورابي نفسه بحيث أنها تتلاءم مع العصر الذي ظهر فيه ومع التطور الحاصل في العصور اللاحقة.

– من الخصائص البارزة في شريعة حمورابي عدم تطرقها إلى العبادات و خلوها من الأحكام الدينية، فقد كانت أحكامها علمانية وتركت أمور العبادات وشؤونها للالتزامات الدينية التي كانت متبعة في ذلك الوقت.

– جاءت شريعة حمورابي في موادها ملمة بكل ما هو راقي ومتحضر، خاصة تلك المواد التي تتعلق بالتبني والأرامل، وجميعها مواد إنسانية تعي مشاكل المجتمع المهمة، كما شملت مواد شديدة الحزم وذات تأثير رادع لكل من يحاول ارتكاب جريمة أو خطأ يضر بمصلحة العامة.

– اعتمدت شريعة حمورابي على مبدأ العين بالعين والسن بالسن، واعتمدت في تطبيق أحكامها على ما هو موجود في المجتمع من طبقات، فالكل يحاسب ولكن عقوبته تكون حسب ما يتمتع به من مكانة اجتماعية.

– جاءت شريعة حمورابي بشكل عام بأحكام ومواد من أجل تحقيق العدالة بين الناس، ففيها أحكام صارمة لحماية الضعيف من ظلم القوي، وجاءت بأحكام تحدد فيها أجور الأعمال وأسعار بعض الحاجيات الضرورية مثل القمح والزيت والصوف، وحدد أجرا رسميا للعامل أكثر مما كان يتقاضاه من قبل.

– أولت شريعة حمورابي أهمية كبيرة للأسرة وتماسكها، حيث منحت من خلال أحكامها مكانة كبيرة للمرأة، حيث حفظت لها حقها في حالة الطلاق ونظمت عملية الزواج ، وحددت له شروطه ونظمت أحكام الميراث.

– أقرت شريعة حمورابي ببعض حقوق طبقة العبيد مثل الزواج والتجارة والعمل والميراث

<u>الانتقادات الموجهة لشريعة حمورابي</u>:

بمقارنة شريعة حمورابي بالشرائع السماوية وأهم ما يطبق من الشرائع في الوقت الحاضر، فيمكن الوقوف على مجموعة من النقاط السلبية في شريعة حمورابي نلخصها فيما يلي:

– شريعة حمورابي تحمل طابعا طبقيا بارزا وواضحا كل الوضوح، وهذا من خلال تقسيم المجتمع البابلي إلى ثلاثة طبقات اجتماعية، أي أن الشريعة اعترفت وأكدت على وجود الفوارق الطبقية بين أبناء المجتمع البابلي القديم، من حيث حقوقهم المدنية ونوعية العقوبات التي تقع على أفراد الطبقات، لذلك فإن حمورابي لم يطبق الحكام الواردة في شريعته بشكل عام على جميع أبناء المجتمع بشكل دائم وثابت.

– كما أن المواد التي تناولتها شريعة حمورابي لم ترد متسلسلة بشكل منتظم، ولم يتم تقسيم مواد الشريعة إلى أبواب وفصول كما هو معمول بع بالنسبة للقوانين الحديثة.

– ومن الانتقادات الموجهة لشريعة حمورابي هي القسوة في الأحكام، حيث رأى بعض الباحثين أن حمورابي لم يساير التطور العام في الأحكام، حيث رجع إلى مبدأ القصاص بالعقاب، بعد أن كان مبدأ الدية سائدا قبله لاسيما في شريعة أورنمو ،كما أن أحكام شريعة حمورابي اتسمت بالقسوة في العقوبات الجنائية، حيث جاءت عقوبة الإعدام في حالات عديدة وعقوبة بتر الأعضاء في حالات أخرى.

– ومما يعاب على الشريعة أنها كانت كثيرا ما تظلم الأبرياء من الأبناء نتيجة اقتراف آبائهم الأخطاء، فيشمل حينها العقاب من ليس له ذنب.

– كما أن شريعة حمورابي أهملت ذكر الكثير من المسائل المهمة ولم تخصص لها أحكاما قانونية، وتطرقت إليها بصورة عرضية دون معالجتها، فمثلا لم يتعرض لإلى جريمة الشروع في القتل وخطف الرقيق وسرقة المياه وعقود البيع.

– ومن الانتقادات الموجهة للشريعة هي ما يسمى بثنائية الحلول حيث وضع المشرع حمورابي في بعض الحالات حكمين مختلفين لمسألة واحدة، خاصة المسائل المتعلقة بالأحوال الشخصية كالزواج والطلاق، وربما يكون السبب في ذلك أن أحد الحكمين مستمد من أصل سومري والآخر أكدي.

وبالرغم من كل الانتقادات الموجهة لشريعة حمورابي فإنها تبقى لتمثل كافة الشرائع العراقية القديمة، لما وصلت إليه من تطور ونضوج في صياغة الأسلوب والمبادئ العديدة التي احتوتها والتي اعتبرت فيما بعد الأساس لدراسة القانون، وأصبحت المثل التي تأخذ به القوانين التي جاءت بعدها

وقد استمر الأخذ بأحكام الشريعة حتى بعد مرور حوالي ألف عام من صدورها بدليل ما عثر عليه من رقيم من الطين ذكر فيه مشكلة تم معالجتها من قبل المحاكم الموجودة والتي ترجع إلى حوالي 568 ق.م.، وتخص هذه القضية سرقة بطتين كانتا ملكا للمعبد، وبعد استجواب السارقين تبين بأنهما قاما بالسرقة من خارج المعبد وليس من داخله وبعدها اصدر الحكم بناءا على أحكام شريعة حمورابي.

السداسي الأول

المحور الاول: حضارة بلاد الرافدين

المحاضرة الخامسة: الجانب الفكري، الدين .

الجانب الفكري:

من أهم مظاهر حضارة بلاد الرافدين اختراع الكتابة التي كانت بمثابة علامة بداية العصر التاريخي، ولم تكن هذه الكتابة متشابهة تماما في كل المدن، وفي مختلف العصور بحيث احتفظت كل مدرسة بنمط معين من صور العلامات، فمثلا خطوط مدارس "أوما" تختلف عن غيرها من المدن المجاورة اختلافا واضحا.

لقد ظهرت الكتابة عند السومريين حوالي منتصف الألف الرابعة قبل الميلاد، وفي ذلك الوقت كانوا يستعملون حوالي 2000 حرف تصويري، إلا أن هذا العدد أخذ يقل تدريجيا نتيجة لتزايد ترابط الحروف بالأصوات حتى وصل إلى ما بين 600 و 500 حرفا أو علامة خلال الألف الثانية قبل الميلاد، بعها صور تعبر عما ترمز إليه، والبعض الآخر علامات صوتية للتدليل عما مثله كحروف نطق، فمثلا لفظ "تي" استخدمت لتدل على سهم، وفي الوقت نفسه على الحياة، وللتمييز بين المعنيين كانت تضاف إلى علامة سهم رسم يرمز لقطعة خشبية لكي تدل على أن المقصود هو السهم المصنوع من الخشب وليس الحياة، لقد استطاع الكتبة الأقدمون أن يدونوا بهذه الكتابة التصويرية الأشياء المادية، أما المعاني المجردة فكان يصعب عليهم التعبير بالطريقة التصورية المحضة، فاهتدوا بمرور الزمن إلى ابتكار الطريقة الرمزية أي طريقة التعبير عن الأفكار والمعاني المجردة بالصور بأن يرسموا الصورة المادية بهيئة مختصرة، ولا يريدون بها صورة الشيء المادي، وإنما المعاني والأفكار المشتقة منه أو المتعلقة به، فمثلا أصبحت صورة القدم بحسب الطريقة الرمزية لا تستخدم لتدوين القدم أو الرجل بل للتعبير عن المعاني المتعلقة بعضو القدم مثل: القيام والمشي والوقوف والدخول والخروج، وصارت صورة الشمس لا تعني كوكب

الشمس و إنما المعاني المشتقة منها كالحرارة والضوء، وبجمع الطريقة التصويرية المحضة والطريقة الرمزية صار بالإمكان التعبير عن معان وجمل كثيرة، ولكن مع ذلك ظلت الكتابة ناقصة لا يمكن التعبير بها عن المعاني المضبوطة لاحتمال التفسيرات وراءتها وتأويلها بحسب القراء، فمثل رسم العين لا يعني فقط جهاز البصر و إنما يعني أيضا مفاهيم اشتقاقية أخرى مثل وجه وأمام وسابق.

وقد أدى تعدد المعاني للرمز الكتابي الواحد إلى صعوبات كبيرة، فدعت الحاجة إلى تطوير الكتابة وتبسيطها وذلك استخدام أصوات الأشياء المادية المكتوبة بالصور لكتابة الكلمات المختلفة وهذه هي **"الطريقة الصوتية"**، فقد استخدم العراقيون الصور وأصواتها لا لتدل على الأشياء المادية التي تمثلها تلك الصور كما في المرحلة التصويرية، ولا غلى الآراء والأفكار المشتقة منها كما في الحالة الرمزية، بل لاستخدامها في كتابة الكلمات والجمل عللا هيئة أصوات، فإذا أرادوا مثلا أن يكتبوا اسم شخص مثل **"كوراكا"** فإنهم يرسمون صورة مختصرة للجبل ولفظه بالسومرية " كور" ثم يرسمون بجنبها صورة مختصرة من خطين تمثل موجات الماء للتعبير عن صوة " ا" وهو الماء باللغة المسمارية، ثم صورة مختصرة للفم ولفظه بالسومرية "كا" فيحصلون بذلك على كلمة "كور – ا – كا".

بقد كانت الكتابة على ألواح من الطين بقلم من الخشب أو القصب ثم تطورت بعد ذلك إلى كتابة على الأحجار والمعادن بالنقش أو النحت، ولما كان القلم مثلثا أصبحت العلامات تنتهي بما يشبه المسمار لذلك يطلق عليها الكتابة المسمارية، ولم تتطور الكتابة المسمارية قط فتصبح أحرفا هجائية، بل ظلت إلى النهاية مألفه من مقاطع واستمرت بعض علاماتها صور رمزية تدل على الشيء الذي تمثله في الأصل.

وعلى ذلك فبالإمكان القول بأن الخط المسماري بدأ تصويريا ورمزيا يغبر عن فكرة ثم تطور بمرور الوقت إلى الكتابة التصويرية.

ومن الإنجازات الأدبية السومرية تلك الأساطير التي تعود أصولها إلى عصر بداية الأسرات، ولعل أشهر تلك الأساطير **"أسطورة الطوفان"** والتي تعتبر من أهم الأساطير العالمية، وقد عثر على اللوحة التي تصف أحداث الفياضان في مدينة "نيبور" وتوضح هذه

الأسطورة كدى تأثير الفيضانات في نهري الدجلة والفرات على مشاعر الإنسان العراقي القديم، وقد ورد في النص شخصية ملك حكيم يسمى **" زيوسدرا"** وقد اصطفاه الإله "انكي" إله الأرض لينقذه هو وقومه من خطر الفيضان، ومن الأساطير الهامة كذلك **"أسطورة الملك ايتانا"** الذي لم يكن له أولاد وعلم بوجود نبات في السماء خاص بالولادة وكان عليه أن يصعد إلى السماء بنفسه ليحضر ذلك النبات، فتضرع للإله "شمش" ليساعده فدله الإله على مكان نسر جريح في حفرة و أرشده أن يعمل على انقاذ ذلك النسر ليجلب له النبات بعد أن يحمله إلى السماء، وتمضي الأسطورة لتصف كيفية الصعود إلى السماء وكيف أصاب الدوار "ايتانا" مما أدى إلى سقوطه هو والنسر.

ومن الأساطير المشهورة في بلاد الرافدين **" أسطورة جلجامش"** و**" أسطورة دلمون"** أو كما تسمى أحيانا **" أسطورة الفردوس".**

<u>الدين فى حضارة بلاد الرافدين:</u>

المعتقد:

ويفهم مما سجله سكان حضارة وادي الرافدين أن ديانتهم كانت طبيعية كغيرها من ديانات الشرق الأدنى، تقوم على أساس عبادة القوى الكونية التي تتحكم في خصوبة الأرض في بيئة زراعية، والدين الرافدي زافر الآلهة شأنه غيره من أصحاب الديانات الوضعية القديمة، فقد كان لكل مدينة إله يحميها، بل لكلل حي أو قرية صغيرة كانت أم كبيرة كان لها إله أو آلهة تحملها، أي لكل شيء إله يديره ويرعى شؤونه، بل كان لكل إنسان إلهه الخاص به (أي ملاكه الحارس له).

الآلهة:

ولم يكن جميع الآلهة بنفس القوة والنفوذ والفعالية، وإنما كان لكل إله مرتبة ومكانة، فمكانة إله السماء تختلف عن مكانة إله الأرض، كما كانت لديهم آلهة كبرى رئيسية مثل: آنو وأنليل وأنكي وآلهة صغرى ثانوية.

وخصائص آلهتهم من نوع مماثل لخصائص الإنسان، فقد نسبوا إليها جميع صفات البشر الروحية والمادية، كالصورة والأعضاء والفكر والرأي والعواطف كما عند الإنسان، فالآلهة حسب عقيدتهم كانت تأكل وتشرب وتتزاوج وتنجب أولادا وما إلى ذلك ولكن مع فروق خاصة تميزها عنهم، ومن ذلك طبيعة وشكل لباس الرأس المتميز بشارات خاصة تشبه الأهلة وقرون الثور، وكلاهما يحمل صفات رمز القمر وقوة الثور كما أنها تنفرد بصفة الخلود والبقاء الأبدي، بينما جعلت الموت من نصيب الإنسان، لذلك نلمس من الناحية الأثرية عدم إعطاء الفرد العراقي القديم الأهمية الأولى للمنازل الأبدية (أي المقابر).

ومثلما ينتظم المجتمع الإنساني بهيئة دولة المدينة يحكمها أمير، فقد تصور العراقيون القدماء أن الآلهة هي الأخرى قد اقتسمت المناصب والمسؤوليات فيما بينها، وأصبح كل واحد منهم مسؤولا عن جزء أو ظاهرة معينة في هذا الكون، فعلى سبيل المثال بينما كان الإله "أن" إله السماء كانت ابنته "أنانا" تمثل إلهة الخصوبة، بينما زوجها "دموزي" له مجال في شؤون الزراعة والرعي والانتاج.

أما صور معبوداتهم فقد مثلت علة هيئة آدمية، إنما تختلف قليلا عن البشر العاديين، فقد بولغ في سعة العيون وكبر الآذان، وكانت العلامة المميزة لها هي غطاء الرأس على شكل مخروط أو قبعة فوقها قرون ثور.

كما رمزوا إليهم بهيئات الحيوانات فإله مدينة أور كان يصور على شكل ثور ضخم أو بهيئات الحيوانات في صور مركبة، ومن ذلك القبيل أن رموزا إلى إله معبودهم "نينجرسو" بهيئة نسر مهيب بجناحين كبيرين و رأس أسد أو لبؤة، وكانوا إذا صوروه على هيئة بشرية جعلوا وجه الأسد شعار لردائه أو لمقعد عرشه أو لموطىء قدميه كما توصلوا إلى تمثيل معبوداتهم عن طريق الرموز فقط، بمعنى خصوا كل معبود برموز وشارات خاصة تميزه عن غيره، حتى أصبحت هذه العلامات وحدها كافية للدلالة على المعبود المقصود، فمثلا كانت لإله القمر نانا صورة الهلال، ولإله الشمس أوتو بالسومرية وشمش بالبابلية عجلة مشعة.

الطقوس:

ولما كانت الآلهة تصف بصفات البشر المادية والروحية، وتحتاج إلى جميع ما يحتاج إليه البشر من حيث طعام ومسكن، وعلى الأفراد العناية بعبادة الآلهة، كإقامة دور العبادة والعمل لها، أي تقديم القرابين والمناسك إلى غير ذلك من أشكال العبادة.

حضارة مصر القديمة

مصادر دراسة التاريخ المصري الفديم:

-المصادر المادية:

1-حجر باليرمو:

قطعة من حجر الديوريت الأسود عثر عليها في منف ونقلت إلى **صقلية** عام **1859م** حيث أودعت متحف مدينة **بالرمو** يبلغ طولها حوالي مترين وارتفاعها حوالي **70سم**، وهناك غيرها أربع قطع بالمتحف المصري إلى جانب قطعة سادسة بمتحف الجامعة في **لندن**.

تسجل اللوحة ملوك ماقبل الأسرات في الوجهين القبلي والبحري حتى عهد الملك **نفر ايركارع**، ثالث ملوك الأسرة الخامسة.

ولقد نقش **حجر بالرمو** من الجانبين وقسم كل جانب عرضيا إلى صفوف وقسم كل صف إلى أقسام، وكتب على الصف العلوي من الوجه الرئيسي أسماء حكام ماقبل الأسرات وتحت كل منهم رسم ملك جالس، وعلى رأسه تاج الصعيد أو الدلتا، وفي بقية الصفوف نجد الخانة اليمنى تفصل الخانة اليسرى بالعلامة الهيروغليفية التي ترمز إلى السنة، وتوجد بين الصفوف ديباجة أفقية تقدم اسم الملك الذي تتصل به النصوص أدناه ويصحب اسمه عادة اسم أمه وتحت كل إشارة ارتفاع النيل في تلك السنه بالذات.

2- قائمة الكرنك:

أقامها **تحوتمس الثالث(1490- 1436ق.م)** من الأسرة الثامنة عشرة في معبد الكرنك ونقلت منه إلى متحف اللوفر بباريس، وتعرف هذه القائمة أحيانا باسم قائمة حجرة الأجداد، وقد صور في قائمة الكرنك هذه الملك **تحوتمس الثالث** وهو يتجه بدعواته إلى واحد وستين **61** اسما من أسماء أسلافه الذين تحطم أولهم، ومن ثم فقد كان أولهم **سنفرو** مؤسس الأسرة الرابعة، ثم يليه بعض ملوك هذه الأسرة، ثم ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة، ثم يتلوهم بعض ملوك الأسرات من الحادية عشرة إلى السابعة عشرة وتنتهي **بتحوتمس الثالثا** لذي أمر بتدوينها، وهكذا يتضح لنا أن **تحوتمس الثالث** إنما قد سجل من الملوك من يعتقد في شرعيتهم، أو من كان يعتبرهم أسلافه الحقيقيين الذين يرتبط بهم من برابطة من نسب، ذلك لأن القائمة لم تسجل كل الملوك الذين جلسوا على عرش مصر قبل **تحوتمس الثالث**، إذا

غفلت الكثيرين منهم خاصة ملوك عصر الانتقال الأول فضلا عن الملوك من الغزاة **الهكسوس.**

3- قائمة أبيدوس:

نقشت في عهد الملك **سيتي الأول(1309- 1291 ق.م)**على جدران معبده الكبير في **أبيدوس** ويمثل المنظر الملك **سيتي الأول** مصحوبا بولده **رعمسيس الثاني(1290- 1224 ق.م)** وهو يقدم القرابين إلى ستة وسبعين (76) من أسلافهم الذين لا تقدم صورهم الشخصية وإنما تمثلهم الخراطيش التي كتبت بداخلها أسماؤهم بالهيروغليفية.
هذا ويتصدر القائمة الملك **مينا** ويستمر سرد الأسماء إلى غاية سيتي الأول وقد أغفلت القائمة أسماء ملوك تعتبرهم غير شرعيين كملوك الأسرتين التاسعة والعاشرة وملوك عصر الإنتقال الثاني فضلا عن تجاوزهم عن عمد إسم الملكة **حتشبسوت** خصيمة الفرعون **تحوتمس الثالث** وإسم الملك **أخناتون** وأقربائه **سمنخ كارع وتوت عنخ أمون** أي الذين اعتبرهم خلفاؤهم مخطئين وذلك لخروجهم على تقاليد الاسلاف الدينية

4- قائمة سقارة:

لوحة من الحجر الجيري عثر عليها عام **1861م** في مقبرة **بمنف** لأحد رؤساء الأشغال يدعى **تلوي** من عهد الملك **رعمسيس الثاني** وهي تحوي أصلا خراطيش **سبعة وخمسين (57)** ملكا يمجدهم **رعمسيس الثاني** ولا تبدأ القائمة باسم الملك **مينا** وإنما بسادس ملوك الأسرة الأولى **عدج أبب** وتنتهي بالملك **رعمسيس الثاني** كما أنها لم تراعي الترتيب الزمني هذا وقد أغفلت القائمة كذلك ملوك الأسرات من السابعة إلى العاشرة فضلا عن كثير من من ملوك الأسرة الحادية عشرة وأن سجلت أسماء ملوك الأسرة الثانية عشرة جميعا مما يجل على أن كاتبها إنما كان متأثرا بما تأثر به كاتب **قائمة أبيدوس** المعاصرة لها ومن ثم فقد أسقطت القائمتان ملوك عصر الإنتقال الثاني وهذا أسم **حتشبسوت** و **أخناتون** ومن تلاه من عائلته ثم تنتهي القائمة بالملوك الثلاثة الأوائل من الأشرة التاسعة عشرة وهم **رعمسيس الأول وسيتي الأول ورعمسيس الثاني.**
ويمكن الإشارة هنا إلى أن اختلاف قوائم الشمال عم قوائم الجنوب، أنما يدل على أنه كان للدلتا نظرة خاصة في شرعية الملوك تختلف عن تلك التي كانت لأهل الصعيد، أما اغفال أسماء الملوك الذين اعتبرهم المصريين غير شرعيين كالهكسوس، فهذا يتفق والغرض الذي أقيمت من أجله هذه القوائم وحتى لا ينعم من لم تذكر أسماؤهم بالقرابين التي تقدم للأجداد.

5- قائمة بردية تورينو:

ترجع هذه البردية إلى عهد **رعمسيس الثاني** وتختلف عن بقية القوائم في أنها كتبت على ورق البردي، وبالخط الهيراطيقي كما تمتاز كذلك بأنها قد أوردت بعض الأسماء الملكية التي لم تذكرها القوائم الأخرى وبأنها قد عمدت إلى التبويب التاريخي حيث قسمت الملوك إلى مجموعات ونسبت بعضها إلى العواصم التي حكمت فيها وقد عثر على **بردية تورينو** الإيطالي **دروفلي** في **منف** عام **1820م**، ثم وجدت طريقها إلى ملك سردينيا وبعد ذلك حفظت بمتحف مدينة تورينو بإيطاليا.

تبدأ البردية – كما يبدأ **مانيتو**- بالآلهة الذين تنسب إليهم مدد حكم أسطورية يليهم بعد ذلك مينا كمؤسس للملكية المصرية، وأما بقية البردية فمجرد قائمة من الأسماء، اشتملت على أكثر من ثلاثمائة **300** اسم تلي كل اسم إشارة بطول مدة الحكم او العمر وحددت حكم كل ملك بالسنين والشهور والأيام، وقد أوردت بعض الأسماء الملكية التي لم تذكرها القوائم الأخرى كبعض الملوك من **الهكسوس**، وظهر فيها لأول مرة أسماء كل من **حتشبسوت وأخناتون وتوت عنخ أمون**، ورغم النقائص فإن جدول تورينو للملوك يعتبر من أكثر المصادر التاريخية قيمة ذلك لأنه لم يسجل سنوات كل حكم فحسب، وإنما سجل كذلك عدد الشهور والأيام بعد اكتمال السنين، ومن الواضح أن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر دقيقة لمعلوماته يمكن الاعتماد عليها، فمثلا أرقام الأسرة الثانية عشرة تتفق تماما ومانتشير إليه الآثار المعاصرة.

6- تاريخ مانيتو:

وهي القوائم التي دونها الكاهن المصري القديم **مانيتو** أو **مانيتون** كما يسميه الإغريق ضمن موسوعته التي كتبها عن تاريخ **مصر** وأطلق عليها مؤرخوالإغريق إسم **إجيبتياكا** أي (**التاريخ الكامل لمصر**)، ولد **مانيتو** في **سمنود**

(**323 – 245 ق م**)وصل في السلك الكهنوتي إلى منصب الكاهن الأكبر في مدينة " **أون** "(**هليوبوليس**) وكان ملما باللغة المصرية القديمة واللغة اليونانية وقد كتب تاريخه حوالي **280 ق م** على أيام الملك **بطليموس الثاني**

(284 – 245 ق م)بأمر من هذا الأخير وذلك لتصحيح تاريخ الفراعنة الذي شوهه مؤرخو الإغريق ابتداء من **هيرودوت**، كما عرف أن التاريخ الحقيقي لمصر تحتفظ به المعابد ويعتبر من أسرارها المقدسة.

- المصادر الادبية: كتابات المؤرخين:

1- هيكاته الميليتي: HekataiosofMiletos

ينتسب إلى مدينة **ميليتوس** الإغريقية من آسيا الصغرى، وقد زار **مصر** حوالي عام 510 ق م وكتب كتابه " **تخطيط الأرض**" وناقش فيه فيضان النيل وتكوين الدلتا ومزروعات البلاد، ويحتمل أنه صاحب العبارة المشهورة " **مصر هبةالنيل**" أو " **هبة النهر**" التي رددها **هيرودوت** من بعده ثم نسبت إليه.

2- هيرودوت (484- 430 ق.م):Herodotus

ولد **هيرودوت** عام **484 ق.م** حسبما يرى معظم المؤرخون في مدينة

" **هاليكار ناسوس**" زار **هيرودوت مصر** إبان الحكم الفارسي لها وسجل كل ما رآه وسمعه في **مصر** في الجزء الُثاني من كتابه المشهور، فتحدث عن جغرافية مصر ومدنها والحوادث التاريخية التي مرت بها وأعمال ملوكها ومظاهر الحياة فيها دونما تدقيق أو تمحيص، ومن هنا جاء كتابه جامعا الغث والثمين حاويا الكثير من الحقائق والمفتريات، ولذلك فقد اختلف المؤرخون في الحكم على **هيرودوت** وعلى كتبه، وإن كان **هيرودوت** قد بذل الكثير من الجهد في إنجاز كتابه عن مصر، ويمكن القول أن كتاب **هيرودوت** في جزئه الأول الذي ينتهي عند مطلع **العصر الصاوي**يكاد يخلو من الحقيقة التاريخية، أما الشطر الثاني الذي افتتحه **بعصر بسماتيك** (664 – 610 ق.م) فقد حالفه فيه التوفيق ذلك لأن روائه كانوا من الإغريق وكانوا على صلة بالفرعون، فضلا عن أن هناك روايات كانت متداولة يمكن الإعتماد عليها.

3- هيكاته الأبدري:

ينسب إلى بلدة "**أيديرا**" في بلاد اليونان، وقد زار مصر حوالي عام 320 ق.معلى أيام " **بطليموس الأول** " **(323 – 284 ق.م)** وقام بوضع كتاب عن مصر، فقد معظمه تحدث فيه عن مصر بصفة عامة وعن العقائد والأساطير الدينية المصرية بصفة خاصة ، وقد اتسمت كتاباته بروح التعصب والتحيز لوطنه.

4- ديودور الصقلي: DiodorusSiculus

قام **ديودور** بزيارة **لمصر** في عام **59 ق.م** وقد كتب مؤلفات في التاريخ العام أو تاريخ العالم بعنوان " **المكتبة التاريخية** " تناول فيه تاريخ العالم منذ فجر التاريخ حتى حملة " **يوليوس قيصر**" على بلاد الغال في عام **58 ق.م** وقد أفرد الجزء الأول منه لتاريخ **مصر**، أما مصادره فكانت الكتاب الذين سبقوه ولم يستطع أن يتجنب الاستعانة **بهيرودوت** على نطاق واسع، وإن انساق وراء جمهرة نقاده، وقد وتناول **ديودور** أوضاع مصر السياسية والاجتماعية والدينية، وكان أكثر من **هيرودوت**إنصافا للمصريين وأكثر فطنة في تفسير عقائدهم و أساطيرهم، فكتب عما تواتر إليه من آرائهم في نشأة الوجود وتعاقب المعبودات وعمران الكون، ثم يتبع هذا قسم مستفيض عن أرض **مصر** ونهرها والحياة الزراعية والحيوانية بها، وعن الفيضان واسبابه ثم يتحدث عن تاريخ مصر، فيسلم بأن " **مينا** " هو أول ملوكها، ثم يتحدث عن مدينة " **طيبة** "وكان يؤخذ عليه أنه جعل تأسيس مدينة " **منف** " تاليا لتأسيس "**طيبة**" و لحكم **رعمسيس الثاني**.

ومع ذلك فإن ما كتبه عن القرنين الخامس والرابع قبل الميلاد يجعل كتابه بالغ الأهمية، أما عن العصور القديمة فإن مايرويه لا يمكن التحقق منه عن طريق مصدر آخر.

5- سترابو: Strabo

ولد **سترابو** في " **بونتوس** " حوالي عام **64** أو **63 ق.م**، وزار **الإسكندرية** حوالي عام **25 ق.م** وأقام بها خمس سنوات تتميز كتابات **سترابو** بأنها نوع من الجغرافية التاريخية، وفي الجزء السادس عشر من مؤلفه " **الجغرافية** "(**Geographica**)تحدث عن مصر، فوصف النيل ومصر وإن أهتم بالدلتا، كما قدم لنا تفصيلات عن المباني والعبادات، أما ملاحظاته على التاريخ والعادات الدينية فخاضعة للنقد شأنه في ذلك شأن المؤلفين السابقين الذكر.

6- بلوتارك: Plutarch (حوالي 50- 120 م)

ولد في بلدة **خيرونيا** في وسط بلاد اليونان حوالي **50 م** (وربما عام **46 م**)، وهو يعتبر من أصدق المؤرخين القدامى، وأكثرهم أمانة في النقل وقد برع علم الأخلاق، وتنقل في بلاد كثيرة إذ زار **روما** و**اسبرطة** و**كورنثة** و**الإسكندرية** وغيرها.

وقد ألف " **بلوتارك** " كثيرا من الرسائل زاد عددها على الستين سميت بالأخلاقيات تناول فيهاموضوعات شتى في الأخلاق والدين والسياسة والفلسفة، كما ألف في الطبيعة والفلك والتاريخ الطبيعي والآثار والتراجمم وقد اهتم **بلوتارك** في كتاباته بالعقائد المصرية.

هذه بعض المصادر التي يمكن لنا أن نعتمد عليها في دراسة تاريخ حضارة مصر القديمة، وتجب الإشارة هنا أن بعض المصادر الأخرى كالمصادر الأجنبية المعاصرة وكذلك الرسائل التي كان الفراعنة يتبادلونها مع حكام الشرق الأدنى القديم سواء في فترات السلم أو في فترات الحرب بالإضافة إلى ذلك ماجاء في الكتب الدينية عن مصر وبصفة خاصة الثوراة والقرآن الكريم والتي روت الكثير من القصص الدينية التي تتصل بطريقة أو بأخرى بالتاريخ الفرعوني، كما أنها تحدثت كثيرا و بسطت طرفا من نواحي الحياة المصرية.

حضارة مصر القديمة

التاريخ السياسي لحضارة مصر: .

ينقسم التاريخ المصري الى مرحلتين هما عصر ما قبل التاريخ والعصر التاريخي الذي ظهرت فيه الكتابة وتبلورت مظاهر الدين والفن، وينقسم هذا العصر الى 30 أسرة ملكية وثلاث دول، نعمت مصر خلالها بحكومة مركزية قوية ، كما مرت بفترات اضمحلال وتفكك يمكن تلخيصها كما يلي:

1- العهد العتيق (العهد الثيني) 3150 – 2780 ق.م.:

ويشمل الأسرتين الأولى والثانية والتي تعرف بالأسر الثينية نسبة إلى مدينة ثيس وهذا لأن معظم ملوك هذه الأسر يعود أصلهم لهذه المدينة.

الأسرة الأولى: أهم ملوك هذه الأسرة الملك "مينا" الذي نجح في تحقيق وحدة مصر السياسية وأسس أول أسرة حاكمة وكان ذلك في حوالي 3100 ق.م. قد تميزت الأسرة الأولى بأنها فرضت عبادة الإله حورس .

الأسرة الثانية: عرفت مصر في عهد الأسرة الثانية تقدما في جميع نواحي الحياة وتطور استعمال الكتابة الهيروغليفية، وتتكون هذه الأسرة من تسعة ملوك، وقد قام ملوك هذه الأسرة بمجهودات جبارة للحفاظ على وحدة مصر والتصدي لمحاولات الإنفصال في الشمال.

2- عصر الدولة القديمة 2780 – 2181 ق.م.:

ويشمل هذا العرض الأسرة 3، 4، 5، 6، وهو العصر الذي يطلق عليه عصر بنات الأهرام ويعرف أيضا بالعصور المنفية لأن مدينة منف ظلت طيلة تلك الفترة عاصمة للبلاد.

الأسرة الثالثة: يعتبر الملك زوسر هو مؤسس الأسرة الثالثة وهو صاحب القبر العظيم في سقارة المعروف باسم الهرم المدرج، وهو أول بناء حجري ضخم عرفه التاريخ، يتكون من ستة مصاطب، يبلغ ارتفاعه حوالي ستين متر وقد ظهر في عهد الملك زوسر الوزير إيمحوتت الذي يرجع له الفضل في تصميم الهرم المدرج وتنفيذه وقد كان كاهنا للملك ووزيره وأول الحكماء والعلماء والأطباء في مصر القديمة.

وقد حكم بعد الملك زوسر ثلاثة ملوك هم "سخم خت"، "خع با"، "جوني".

الأسرة الرابعة: بعد الملك "سنفرو" مؤسس الأسرة الرابعة واشتهر بالإصلاح والقوة وأهم أعماله كانت إرسال أسطول بحري إلى فينيقيا لإحضار خشب الأرز.

ومن أهم ملوك الأسرة الرابعة كذلك الملك " خوفو" الذي ترتبط شهرته بهرمه الأكبر الذي يعتبر أحد عجائب الدنيا السبع، حيث يبلغ ارتفاعه حوالي 137 م. و عدد أحجاره نحو 2.3 مليون حجر، وحسب المؤرخ هيرودوت فإن بناء هذا الهرم استغرق حوالي 20 عاما.

وقد شيد خلفاء "خوفو" وهم كل من "خفرع" و " منكاورع" هرمين أقل حجما من الهرم الأكبر، وتابعوا سياسته في التوسع جنوبا في اقليم "النوبة"

الأسرة الخامسة: تتكون هذه السرة من 10 ملوك ويعد الملك " ساحورع" هو أهم ملوك هذه الأسرة، فقد أرسل حملات إلى النوفة وإلى ليبيا، ويعتبر الملك "أوناس" آخر ملوك هذه الأسرة حيث حكم 30 عاما وبنى هرما بلغ ارتفاعه 44 م. وطول قاعدته المربعة 67 م.

الأسرة السادسة: حكم في هذه الأسرة سبعة ملوك، أولهم الملك "تيتي" وآخرهم الملكة " نيتوكريس" التي حكمت لمدة عامين، وقد واصل حكام هذه الأسرة توسعاتهم في الجنوب .

الفترة الانتقالية الأولى 2181 – 2052 ق.م.:

وتشمل هذه الفترة الأسرات من 7 إلى 10 وقد كان هذا العصر عصر فوضى واضطرابات انقسمت مصر إلى عدة ممالك وبرزت مملكتان هما مملكة "أهاناسيا" في الشمال حيث أسس ملوكها الأسرتان التاسعة والعاشرة، ومملكة " طيبة" في الجنوب.

4- عصر الدولة الوسطى: وشمل الأسرة 11 و 12.

اهتم ملوك الدولة الوسطى بالمشاريع التي تعود على جميع أفراد الشعب بالرخاء والخير مثل مشاريع الري والاهتمال بالزراعة والتجارة وقد سمي هذا العصر بعصر الرخاء الاقتصادي ويمتد من 2124 ق.م – 1778 ق.م.

ويبلغ عدد حكام الأسرة الحادية عشر سبعة حكام وهم على التوالي : أنتف الأول ، أنتف الثاني، أنتف الثالث، منتوحوتب الأول ، منتوحوتب الثاني،ة منتوحوتب الثالث، منتوحوتب الرابع.

ويعتبر الملك منتوحوتب الثاني أعظم ملوك هذه الأسرة، حيث يرجع إليه الفضل إلى إعادة الوحدة للبلاد ووحدتها والقضاء على الفتن ، وقد حكم قرابة 51 سنة .

وبالنسبة للأسرة الثاني عشر فقد توسع ملوكها في الجنوب وشيدوا هرم دهشور وقبور بني حسن والبرشة، ومؤسس هذه الأسرة هو إمنمحات الأول الذي اتخذ عاصمة جديدة للبلاد التي هي "إثيت تاوى" وقضى على غالت الأسيويين واللبيين وقد حكم هذا الملك حوالي 30 عاما.

ومن أهم ملوك هذه الأسرة الملك سنوسرت الثالث، حيث حكم 38 سنة وقد قاد حملات عسكرية إلى بلاد النوبة، وشيد هرم ومعبد في الفيوم ، كما أمر بحفر قناة في شرق الدلتاوهي أقدم اتصال مائي بين البحر الأحمر والبحر المتوسط، وربط علاقات تجارية مع بلاد البونت " الصومال حاليا" .

5- **القترة الانتقالية الثانية**: وتشمل الأسرات 13 و 14 و 15 (1778– 1570 ق.م.).

تعرضت مصر في هذه الفترة إلى احتلال الهكسوس الذين ضلوا بها حوالي قرنين من الزمن ، وهم قبائل من البدو جاءوا من غرب آسيا ويحتمل أن يكون أصلهم من شبه الجزيرة العربية، أو من آسيا الصغرى(الأنظول)، وقد ظل الهكسوس أجانب بالنسبة للمصريين رغم تأثرهم بالحضارة المصرية وتقليدهم للفراعنة في أسمائهم وأزيائهم وتقاليدهم.

6- عصر الدولة الحديثة 1570 – 1580 ق.م.:

ويشمل الأسرات 18، 19، 20، ويعد الملك أحمص الأول هو مؤسس الأسرة 18 التي تمثل بداية عصر الدولة الحديثة، وقد تمكن من هزيمة الهكسوس وطردهم من البلاد وأعاد لمصر استقلالها واتحادها، ولقد لقب عصر الدولة الحديثة بعصر المجد الحربي والتوسعات الخارجية وأشهر ملوك الدولة الحديثة:

من الأسرة 18 نجد الملك تحوتمس الأول، حيث حكم قرابة 30 سنة،وقد توسع جنوبا حتى وصل إلى دنقلة ثم توسع في آسيا وبنى معبدا له هناك.

الملكة حتشبسوت: تعتبر أشهر ملكات مصر حكمت حوالي 18 عاما وقد تميز عهدها الاستقرار والأمان وبالبناء والنهوض بالفنون والتجارة، حيث أرسلت بعثة تجارية إلى بلاد بونت "الصومال حاليا"، ومن انجازاتها اقامة مسلتين بمعبد الكرنك لا تزال احداحما قائمة لحد اليوم، ويبلغ ارتفاعها حوالي 30 مترا، وأقامت كذلك معبد الدير البحري.

الملك تحتومست الثالث:اشتهر هذا الملك بنشاطه الحربي وقام بحوالي 17 حملة في آسيا، وتوسع في بلاد النوبة جنوبا وشيد عدة أبنية ومعابد كما قام بإنشاء أسطول حربي قوي استطاع من خلاله بسط سيطرته على جزر كثيرة من البحر المتوسط والسواحل الفينيقية.

الملك ايمنحوتب الرابع (اخنتون): تول الحكم وعمره لا يتجاوز ال 16 سنة تزوج من نفرتيتي ولم يكن هذا الملك مهتما بأمور السياسة والحرب وانشغل كثيرا بأمور الدين، حيث جاء بعقيدة دينية جديدة تدعوا إلى عبادة إله واحد هو آتون، كما غير اسمه إلى أخنتون واتخذ عاصمة جديدة هي "أخيت أتون"، ونتيجة سياسته الدينية الجديدة ثار كهنة الإله أمون ضده.

الملك توت عنخ آمون: حكم قرابة 9 سنوات اتخذ طيبة عاصمة للبلاد من جديد لم تكن لهذا الملك انجازات حضارية كبيرة، وقد تم العثور على مقبرته كاملة سنة 1928م حيث تم العثور فيها على كنوز أثرية ليس لها مثيل.

الأسرة ال 19 : أشهر ملوك هذه الأسرة: الملك رمسيس الأول الذي أعاد هيبة الدولة المصرية والملك رمسيس الثاني الذي يعتبر الملوك المصريين صاحب أقدم معاهدة سلام في التاريخ القديم وكانت مع الحيثيين بعد معركة قادش، ومن انجازات هذا الملك بناء معبد أبو سنبل.

الأسرة 20: أشهر ملوك هذه الأسرة: الملك رمسيس الثالث الذي منع دخول شعوب البحر والليبيين إلى مصر وفي نهاية عهده بدأت مصر تدخل مرحلة الضعف.

وبعد الأسرة 20 دخلت مصر عصر الاضمحلال الثالث ويشمل الأسر 21-25 (1085-663 ق.م)، حكم فيها البلاد ملوك من أصل ليبي منهم سيشنق واخزون من أصل نوبي أشهرهم يعنخى.

كما غزاها الأشوريون فثار المصريون بقيادة بسماتيك الأول الذي أسس الأسرة 26 (663-525 ق.م) وارجع لمصر قوتها وبدا عصر النهضة، ثم استولى عليها الفرس من الأسرة 27 الى غاية الاسرة 30 ، ثم ينتهي تاريخ الأسرات بغزو الإسكندر الأكبر لمصر سنة 332 وطرده للفرس.

حضارة مصر القديمة

المظاهر الحضارية للحضارة المصرية:

1- الجانب الاقتصادي:

أ-الزراعة:

تعود خصوبة الأراضي المصرية إلى الفيضان السنوي لوادي النيل الذي كون على مر السنين سهولا غنية بالمواد العضوية.

كانت الزراعة المصرية القديمة في البداية متوقفة على فيضان النيل وكان الانتاج وفيرا والموسم الزراعي ناجحا، اذا مافاض النيل وروى الأرض الزراعية، أما إذا تأخرت عملية الفيضان فيحدث الجفاف ويقل الانتاج وتحل المجاعة.

كان على المصريين تحدي لمواجهة هذه المشكلة، لذلك لجا المصريون القدماء إلى إنشاء السدود وقنوات نقل المياه وانشاء خزانات كبيرة لتخزين المياه من أجل ري الاراضي في الأيام الأخرى.

يعد القمح والشعير من أهم المزروعات التي قام عليها الاقتصاد المصري، ونرى هذا واضح من خلال الرسومات المنقوشة على الجدران.

ويعد نبات البردي من أشهر النباتات التي اشتهرت بها مصر وخاصة منطقة "الدلتا"، وهو نبات الذي استغله المصريون في صناعة ورق البردي الذي كتبوا عليه

ب- الصناعة:

شهد جانب الصناعة في مصر تطور كبير حيث صنع المصريون القدامى الكثير من المنتوجات، حيث ابدعوا في صنع الحدادة والنجارة ونسيج الاقمشة وصناعة الأحدية وصناعة الحلي وغيرها، وقد ساعد على توفر هذه الصناعات وجود المواد الأولية في مصر، كما تم استيراد بعض المواد من المناطق المجاورة.

من أهم الصناعات كانت صناعة الورق البردي وتحويلها إلى لفافات كبيرة ثم إلى كراريس ليتم الكتابة عليه.

كما شهد مجال البناء والعمارة تطورا كبيرا في مصر وهذا راجع إلى تطور مجال الصناعة الخاصة بالبناء، إلى جانب توفر الأحجار كالرخام والمرمر والجير وغيرها، بالإضافة إلى وجود المادة الاولية لصناعة الأواني الفخارية، والتي هي الطين الموجود على حواف واد النيل ساعد في صنع أواني عالية الجودة، لتوفر مصر على رمال ممتازة تمكن المصريون من اختراع الزجاج منذ منتصف الألفية الثالثة قبل الميلاد وتمكنوا من تطويره إلى زجاج شفاف في 1300 ق.م.

وقد كان الحرفيون يورثون صناعتهم لأبنائهم من بعدهم مما أدى إلى توارث العديد من الأسر لصناعة معينة.

ج- التجارة:

تعود شهرة مصر الفرعونية في التجارة الخارجية إلى موقعها الاستراتيجي الهام بين بلدان شرق المتوسط وغربه شماله وجنوبه وقد ساعدت الملاحة المباشرة بين البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر منذ الألف الثانية قبل الميلاد على تنشيط التبادل التجاري بين آسيا وإفريقيا وأدت إلى مراقبة الطرق التجارية بآسيا وموانئ فينيقية

كان ضرب العملة في مصر الفرعونية مبكرا في الألف الثالثة قبل الميلاد، في شكل حلقات من ذهب تسمى "شات "Shats" تزن الواحدة منها حوالي 5،50غرام، وفي عهد الدولة القديمة ظهرت مسكوكات تعرف بإسم "دبن "Deben" تصل قيمتها 12 "شات"

نتيجة لهذا الظهور المبكر للعملة كان المصريون لا يتعاملون بالمقايضة على غرار الأقوام القديمة إنما كان يتعاملون بالبيع والشراء.

أهم صادرات مصر الفرعونية كانت هي الأقمشة المصنوعة من الكتان والأدوات الفخارية والزجاجية والعاج والنحاس والحديد والسمك المجفف وورق البردي.

أما المستوردات فقد كانت العاج والبخور والصمغ وجلود الفهود والأسود والذهب وريش النعام، وكانت هذه المواد تستورد من بلاد النوبة وكانوا يستوردون الخشب من فينيقيا والنبيذ والزيت من جزيرة كريت والنحاس من آسيا الصغرى أما التوابل والبخور والنباتات العطرية والمواد الثمينة فمن الجزيرة العربية والهند وبلاد الرافدين.

فيما يخص الطرق التجارية فقد كان لمصر طرق تجارية برية داخلية بين الأقاليم المصرية وبحرية بين الأقطار المجاورة عن طريق البحر الأبيض المتوسط خاصة الحضارات التي تطل عليه والبحر الأحمر وطريق نهر النيل الذي يشق مصر عموديا من شمالها إلى جنوبها.

فقد كان لمصر آلهة خاصة بالتجارة يتذرع لها التجار من أجل تسهيل تجارتهم وآلهة خاصة بالملاحة يتذرعون لها قبل الانطلاق في عملية سير قوافلهم التجارية ومن بين المعبودات التجارية كان الإله "ست" راعي القوافل البرية والبحرية.

2- الجانب الاجتماعي:

المجتمع المصري مجتمع طبقي يتكون من طبقتين أساسيتين:

أ- الطبقة العليا:

أ 1 – الفرعون وزوجته:

الفرعون مصطلح معناه المسكن الفسيح أو القصر أو الصرح العظيم، وهذه الكلمة تطلق على الملك وحاشيته وكذلك الأبناء والموظفين الذين لهم النشاطات السياسية والدينية في نفس الوقت

الفرعون هو في نفس الوقت الملك والراعي ذلك لأنه في اعتقادهم من يمطر السماء ويفضل نوره تنمو المنتجات الزراعية المختلفة وبإمكانه إلحاق الأذى بالأعداء، وإحداث الجفاف في الأرض فالملك في مصر الفرعونية يجمع بين السلطة الدينية والدنياوية

الملك يحكم في مصر منذ أقدم العصور وهو صاحب السلطة العليا في البلاد ومصدر كل السلطات وفي القصر تدار جميع أمور الدولة

وقد وضع ملوك مصر التيجان على رؤوسهم واعتبر التاج رمز القوة ومن أهم تيجان التاج الأبيض رمز الجنوب والتاج الأحمر رمز الشمال

أ 2- الأسرة الملكية أو النبلاء:

تتمتع الاسرة الملكية أو النبلاء الذين يتكونون جميعا من حاشية الملك بمكانة مرموقة في المجتمع المصري القديم فإليهم المناصب العليا في البلاد، كمنصب الوزير والموظفين الساميين مصل الكهنة

والكتبة والقادة العسكريين والفنانين، وهي مناصب وراثية يحسن أصحابها القراءة والكتابة وأحيانا كان الملك يسند لهم الإشراف على حكم أقاليم

أ 3- الوزير:

يتميز الوزير بثقافة واسعة بحيث كان يتلخص في مساعدة الملك على تسهيل شؤون مصر القديمة، خاصة الإدارية والاقتصادية والقضائية وكان يشرف على شؤون كثيرة، كالشؤون المادية والجيش ويراقب فيضان النيل، ويمثل حلقة اتصال بين الملك والموظفين وكان يقدم تقارير يومية للملك على سير شؤون مصر القديمة.

وفي حالة غياب الملك أو اهتمامه بشؤون اخرى كان الوزير هو من يتخذ القرارات في مصر الفرعونية فصلاحيته لا تقل أهمية عن صلاحية الملك.

أ 4- الكهنة:

حظي الكهنة بمكانة هامة في مصر قديما باعتبارهم واسطة بين الآلهة والشعب منذ ظهور السلطة، وقد احتلوا المرتبة الثانية بعد الملك ويجب على الكاهن أن يكون من أقارب الملك أو زوجته ووظيفتهم وراثية وقد كانت لهم خصائص ومراتب تتلخص مهامهم في استقبال الهدايا والقرابين الموجهة للمعبد والاهتمام بالعلوم والطب والتأمل في المستقبل والكتابة فقد كان لهم دورا سياسيا في الحضارة المصرية القديمة.

أ 5- حكام الأقاليم:

كان على رأس كل إقليم حاكم يعينه الملك يسهر على تسيير الامور فيهن وكانت مهمة حكام الأقاليم الإشراف على حفر الترع وشق القنوات وشؤون الري وإحصاء الاراضي الزراعية، واوسعت دائرة حكام الاقاليم بعد أن جمعوا أموال كبيرة زادت في تقوية نفوذهم، نتيجة يهذا بدأ يظهر في مصر ملوك جدد وظهر نظام توريث الأراضي لأبنائهم وجمعوا في أيديهم السلطة الإدارية والدينية والعسكرية بأقاليمهم، وبالتالي تدهورت سلطة الملك وأصبح غير قادر على كبح جماح حكام الأقاليم.

أ 6- الجيش:

بعد أن تكررت الهجمات الأجنبية ضد مصر تطلب الأمر إقامة جيش نظامي دائما غلى جانب المرتزقة، كان الجيش في حالة الحرب والتوتر يقوم بمواجهة الاعداء وبناء الحصون والخنادق والجسور المتحركة، وكان الفرعون الذي يعد القائد الاعلى للجيش يجتمع قبل أية حملة عسكرية بمساعده لوضع خطة الحرب، أما في حالة الامن والاستقرار فإن مهمة الجيش تمثلت في إنجاز المنشأة العامة والمساهمة في الرحلات الاقتصادية إلى الحبشة ومراقبة التجارة القائمة بين إفريقيا وآسيا مراقبة صارمة

أ 7- الكتبة والكتاب:

كان للكتبة زورا هاما في مصر القديمة، حيث أوكلت إليهم مهام إدارية وعسكرية كالنقل والإيواء وتموين وتوزيع الغنائم، والكاتب ضروري أن يجيد القراءة والكتابة ويعدون من الموظفين الساميين، ويمكن للكاتب أن يرتقي إلى منصب الوزير أو الكاهن وهم فئة تتمتع بثراء كبير.

أ 8- الفنانون والحرفيون:

لقد شهد الفن ازدهارا وتطورا كبيرا في مصر الفرعونية، وذلك راجع إلى ان لهذه الفئة مكانة كبيرة في مصر، حيث كان الفنانون والرسامون والنحاتون يعملون في خدمة الملك، ويتلقون رعاية خاصة منه وكانوا يتقاضون أجورا عالية.

ب- الطبقة السفلى:

ب 1- الفلاحون والعمال:

يمثل الفلاحون والعمال الفئة الأكبر في المجتمع المصري القديم، وتكمن مهمتهم في استغلال الأراضي وفي صيانة قنوات الري ومقاومة الفيضان وتصريف المياه وحماية الأراضي من عمليات النهب التي كانت تتعرض لها، وكان الفلاحون مجبرون على دفع ضريبة عالية جدا، وفي حالة عجز الفلاح عند دفع الضريبة كان يتعرض لضرب المبرح ويطرد من الأرض، فقد كانت أوضاع الفلاح جد قاسية.

ب 2- الأسرة:

كان وضع المرأة المصرية في العصور القديمة كزوجة وأم في مكانه المرموقة، حيث أنها ظهرت في عديد من الآلهة أبرزها الآلهة " إيزيس" زوجة "أوزريس" أهم آلهة مصر الفرعونية.

حسب المصادر الأثرية مارست المرأة حق الوصاية على العرش عندما يموت الملك ويكون لها ولدا قاصرا.

أما بالنسبة للزواج في مصر الفرعونية فقد كان في سن مبكرة، 15 سنة بالنسبة للأولاد و 12 سنة بالنسبة للبنات.

ب 3- العبيد:

يحتل العبيد المرتبة الأخيرة في الهرم الاجتماعي في مصر القديمة، أصلهم إما أسرى حرب أو ينحدرون من عبيد النوبة والحبشة، ويعود تاريخ وجود العبيد في بلدان الشرق الأدنى القديم إلى الألف الثانية قبل الميلاد وكثر عددهم في عهد الدولة الوسطى والحديثة في مصر، ولم يكن لهم حقوق ولكن مع مرور الوقت تمكن بعض العبيد من عتق أنفسهم وتقلدوا مناصب في الدولة المصرية.

3-الجانب الديني:

تختلف الديانة من منطقة إلى أخرى حيث تتأثر بالبيئة الطبيعية التي تترعرع فيها وتتكيف مع نمط معتنقيها وهذا ينطبق على الديانة المصرية القديمة حيث أن الإنسان المصري القديم تمعن في الكون سكونه وحركته وفي الحياة والموت

أ-المعتقد:

يطرح " أدولف أيرمان" فكره في موضوع المعتقدات والمعبودات وهي: أن شعور الإنسان بالخوف من المجهول أدى يه لاحترامه لكل القوى التي تؤثر في حياته واعتقد الإنسان بوجود هذه القوى وكون في ذهنه صور لها وأخذ يعطي لكل منها شكلا معينا بل وأخذ في تمثيلها بطريقته الخاصة ليجعل من بعضها أصدقاء ومن البعض الآخر أعداء ومن هذا الشعور نشأت الديانة التي لم تكن إلا اعتقادا مسيطرا على ذهن الإنسان في ان هناك قوى تحيط به وتؤثر عليه.

انطلاقا من هذه العلاقة بين الإنسان وبما يحيط به من حيوان وظواهر طبيعية ظاهرية أو خفية نلاحظ أن المصريين كبقية شعوب العالم القديم ظلوا منذ أقدم العصور يفكرون في معتقداتهم الدينية واعتقدوا أن "بتاح"Ptah" هو أحد أهم الآلهة وهو الذي خلق الكون والحياة والإنسان وهو أيضا الإله الذي خلق مدينة

"منف" وهو الذي يتحكم في القلب واللسان وإليه يعود الفضل في تحريك جميع أعضاء جسم الإنسان والحيوان معا.

وفي معتقد المصريين القدماء أن القلب هو المصدر الرئيسي لهذا المعتقد فالقلب هو مصدر التفكير وأداة للفهم الروحي لكل شيء واللسان هو الوسيلة للتعبير على ما يكون بداخله.

ب- الطقوس:

لكل ديانة طقوس دينية يومية يعبر من خلالها المتدين على معتقداته وعى مدى تطبيقه لهذه الديانة بالنظر إلى نسبة إقباله على الصلاة وتقديم القرابين وكانت تقام هذه الطقوس في المعابد كمعبد "الأهرام" ومعبد "بتاح" ومعابد الملوك في "طيبة".

كانت في مصر الطقوس اليومية والدورية والسنوية وكانت تقام على شرف الآلهة، فالطقوس اليومية هي العبادات التي تقام كل يوم كالصلاة والتذرع للآلهة، أما الطقوس الدورية فقد كانت تقام حسب المناسبات، مثال على ذلك الطقس الذي كان يقام للإله "النيل" حيث كان كلما يفيض النيل بشكل غريب كان يجتمع كهنة مصر ويقدمون أجمل نساء مصر قربانا للإله، أما بالنسبة للأعياد السنوية فقد كانت تقام في مصر أعياد سنوية كثيرة أشهرها اعياد "رأس السنة"

ج-الآلهة:

أوزوريس: هو رئيس مجمع الآلهة المصرية القديمة وهو رمز الخلود وهو أب الآلهة جميعا وهو رئيس العالم السفلي.

إيزيس: هي زوجة الإله **أوزوريس** وهي آلهة محلية وهي آلهة عظيمة وساحرة توجد في كل مدينة وكل إقليم تمثل دائما كمرأة تحمل علامة العرش في شكل قرنين بينهما قرص الشمس.

حوس: مكانته معتبرة في اللاهوت المصري وهو إله الشمس والقمر.

ست: يحتل مكانة فريدة وهو أحد أعضاء هيئة التاسوع المقدس وهو في أسطورة "**الأوزورية**" وهو شقيق "**أوزوريس**" وهو رمز الشر الذي يجب محاربته وهو إله اللعنات وصوروه بجسم إنسان وبرأس حيوان غريب يشبه رأس الكلب.

نفتيس: هي العضو الأخير في التاسوع الإلهي هي شقيقة "**أوزوريس**" ورفيقة "**إزيس**" في حماية الموتى.

أونوبيس: سيد الجبانة وحامل مومياء وله دور كبير في محاكمة الموتى في أسطورة "**الأوزورية**" كان دوره جمع جثماني "**أوزوريس**" الذي قطعه أخيه "**ست**" ثم قام بتحنيطه من أجل بعثه من جديد، ويصوره المصريون بشكل إنسان برأس ثعلب.

تحوت: إله الحكمة واللاهوت واعتبر خالق نفسه هو إله الأرض والسماء والبحر والهواء، وهو رب فن الكتاب نسبت إليه أصول الحكمة والحساب ويرمز أحيانا له بالطائر وأحيانا أخرى بالقرد.

ماعت: خصوصيتها الوصول إلى أرقى التطورات العقلية فيما اتصال بين الكون والعالم والإنسان ثم التعبير عن هذه التطورات بأفكار مجردة، فقد عرفها الإنسان بالحق والاستقامة وهي بنت "**راع**" وزوجة "**تحوت**" تظهر في هيئة امرأة تحمل على رأسها ريشة العدل والحق.

مين: يمثل إله التناسل في الطبيعة.

حتحور: آلهة الحب والجمال والسعادة والسماء والبهجة.

د-الأسطورة:

أسطورة خلق الكون وخلق البشر:

شغلت قضية خلق الكون والظواهر الطبيعية المصريين، مما دفعهم إلى التأمل والتساؤل والتكهن، لذلك حاولوا إيجاد تفسيرات لخلق الكون وكذلك خلق البشر لذلك وجدت أساطير متعددة ومتنوعة على سبيل المثال أسطورة "**هليوبورليس**" على إثر هذه الأسطورة تم خلق الآلهة خاصة الإله **أوزريس** والآلهة **إزيس** الذين بدورهما خلقوا البشر.

أسطورة البعث والخلود:

أولى المصريون القدماء عناية خاصة للحياة الثانية أو لحياة ما بعد الموت وكانوا من أوائل الأمم التي آمنت بالبعث والخلود، وكان للبيئة المصرية تأثيرا قويا على هذا المعتقد حينما لاحظ المصري القديم كل يوم في الصباح تشرق الشمس وتختفي في المساء ثم تعود لتشرق مرة ثانية دون تأخر، كما لاحظ

المصريون أن الفيضان يأتي كل عام في وقت محدد من كل سنة ويغمر الأرض بمياهه ثم ينخفض منسوبه، وهكذا تتكرر العملية كل عام.

أدت هذه العوامل المجتمعة بالمصريين للاعتقاد بالحياة الثانية أو الأبدية بعد الموت لأنهم أحبوا حياتهم الدنيوية ورغبوا في أن يجعلوا من حياتهم في اليوم الآخر صورة مطابقة لها، لذلك حرص على أن يدفنوا مع موتاهم كل ما يحبونه ويحتاجونه ومن أهم تحضيراتهم كانت:

-التحنيط.

-إيداع كتاب الموت مع الميت.

-محاكمة الميت أو عقائد البعث والحساب.

2- الجانب الثقافي:

أ-الكتابة:

أ 1-الهيروغليفية:

أدرك المصريون منذ الألف الثالثة قبل الميلاد ضرورة تدوين وحفظ أفكارهم ومختلف نشاطاتهم مع نقل قسم منها إلى عالم الخلود، لذلك اعتبرت الكتابة "**الهيروغليفية**" من أهم إنجازات الحضارة المصرية القديمة، فهي تمثل مرحلة جد متقدمة من هذه الحضارة الساحرة.

ومصطلح "**الهيروغليفية**" مصطلح مركب من "**الهيرو**" وتعني **المقدس**، و"**غليفية**" وتعني **كتابة** بمعنى "**الكتابة المقدسة**"، لأن الكتابة في مصر أخذت طابعا مقدسا وتسمى "**الهيروغليفية**" بمعنى "**الصورة المقدسة**" أو "**كلمات الآلهة**" أو "**خط الكتابة**".

مرت الكتابة في مصر بمراحل تطور كانت في مرحلتها الأولى صور مصغرة من مختلف الأشياء المادية والكائنات.

أ 2-فك رموز الكتابة الهيروغليفية:

تمكن الإنسان في العصر الحديث من فك رموز الكتابة الهيروغليفية بعد أن اكتشف أحد جنود **نابليون** في عام **1977م** من خلال حملته على مصر مسلة (حجر) في منطقة "**رشيد**" طولها متر واحد ونصف، وهي عبارة عن لوحة من الحجر نقش عليها الكهنة شكرهم للملك "**بطليموس الخامس**"وقد دون عليها نص بثلاث كتابات وهي الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية.

كان العالم الفرنسي **شامبليون** مهتم بدراسة اللغات القديمة حيث كان ملم بحوالي 11 لغة منها اليونانية، فعرض عليه "**لوح الرشيد**" وبعد دراسة دامت 23 سنة تمكن سنة **1822م** من فك رموزها و "**لوح الرشيد**" محفوظ في متحف بريطانيا واقيمت نسخة منه مؤخرا أمام مكتب الإسكندرية بمصر.

أ 3-أنواع الكتابة الهيروغليفية:

-الكتابة الهيروغليفية:

يرشح أنها ظهرت في عهد الأسرة الثانية وهي كتابة رمزية ترمز لمختلف الأشياء كالأشخاص والحيوانات والنباتات والأدوات المحيطة بهم، في هذه المرحلة لم يعبر الإنسان إلا على الأشياء المرئية لذلك لم تكن مستعملة سوى في السجلات الرسمية الملكية منها والدينية.

-الكتابةالهيراطيقية:

ظهرت في عهد الدولة القديمة وهي أبسط من الكتابة "**الهيروغليفية**" استعملت في كتابة الأدب على ورق البردي.

-الكتابة الديموطيقية:

ظهرت في عام **700 قبل الميلاد** وهي أبسط أنواع الكتابة الفرعونية، عرفت أيضا بالكتابة الشعبية استعملت لتدوين أحوال العامة والحياة اليومية وظلت مستعملة إلى غاية الاحتلال الروماني.